



دکترہ نعمات احمد فواد

الحمد والثناء للمعلمين

دار الشروق

أهدى كتابة النافع

الطبعة الاولى

يونيو ١٩٧٤

دارالشروق 

القاهرة : ١٦ جواد حسنى ت ٥١٢١٤ برتيا : شروق القاهرة
بيروت : ص. ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٢٨٣٨ برتيا : داشروق بيروت
جدة : ص. ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برتيا : شوركورب جدة

دكتورة نعامت احمد فؤاد

أفيد كتابه التاريخ

 دار الشروق

من مؤلفات الكاتبة

✳ شخصية مصر

✳ النيل في الأدب المصرى

✳ قمم أدبية

✳ أدب المازنى

✳ فى بلادى الجميلة

✳ خصائص الشعر الحديث

الغلاف للفنان مصطفى حسين

مقدمة

في هذا الكتاب مواجهة فاحصة للمفاهيم الخاطئة في تفكيرنا ، للأوضاع الدامية في حياتنا بالتحليل والاستقصاء والغوص عن الاسباب الجذرية ... فطالما كتبت عن شخصية مصر وكنت في انسحاق الهزيمة ، اتعمد أن أجلو ايجابيات هذه الشخصية وعطائها في ماضيها الطويل لاعطى الامل للنفس المصرية ، وأنفص بعضا من أحمال وأوجال اليأس التي رزحت تحتها حتى كادت تختنق كهذا وهوانا

أما وقد انجابت الظلمات وتنفس السبح فلا ضير بل لا بد من كشف السلبيات لا شهوة في النقد أو السادية أو تحطيم أشخاص فان هدف المصرى العابد اكبر من هذا وأكرم وأرفع ... ملك الامر عندي **الا تتكرر المأساة** اذا لم نستفد من الاخطاء ، ونتب عن الخطايا ... وهنا تكون المواجهة ضرورة وفرضا ...

ان أى حاكم لا يقع الجرم عليه وحده ، ولا بالقدر الاكبر لانه لولا من يقبل الجور ما كان من يجور . ولهذا ينصرف أغلب ما في هذا الكتاب من النقد ، الى الشعب لان الحاكم عادة في البداية يكون متبھيا يتلمس مواطن رضاه فلما وجدته يتهافت عليه ويفرق في بدحه ثم تأليهه ، استخف به ...

ان هذا الكتاب صيحة في وجه هواة الملق ودق الطبول ، الذى بدأ بالفعل نفاتهم الرخيص لا فى الظهور بل فى النـمـو والاستفحال ... الكتاب صيحة فى وجه من نظموا الكواكب عقود مدح بالامس ، ويعاودون الكرة اليوم بلا خجل ... حتى لا يؤذوا حاكما لديه الاستعداد للإصلاح والصلاح .

هذا الكتاب يتغيا مصر وحدها ... مصر البسيطة السمحة المؤمنة المعطاء دون نظر الى الألوان والمذاهب والايديولوجيات المختلفة فما أحببت مصر يوما التمهذب أو التطرف الى اليسار أو اليمين وكل من حاول صبغها بلون صارخ أو صاخب نفرت واستعصت عليه .. وسخرت منه فى النهاية حين يجد نفسه بعد الجهد والعناء يقف وحده وهى فى مكانها لا تريم .

لقد حاولت الدولة الفاطمية أن تمكن لنفسها فيها مائتى سنة ثم دالت الدولة الفاطمية فقلبت مصر الصفحة وكأن لم يك بها شيء اسمه الشيعة والشيعةيون ...

وجاء دور الدولة الايوبية لتحاول فلم يكن نصيبها من تتابع مصر أوفى حظا من غريمتها ...

لقد آمنت مصر بالاسلام فى صورته الاولى المصفاة التى توافق طبيعتها هى .

وآمنت بالمسيحية ، قبله ، بطريقتها هى فصارت المسيحية فيها دون غيرها من البلاد ، قبطية .

هذا هو موقف مصر من الاديان فكيف الحال مع من لا يرتقى الى هذا الامق الاعلى ؟ مهما اختلفت أسماء .

مصر هى مصر وكفى .

وأنا في هذا الكتاب في كل كلمة .. في كل نبضة مصرية وكفى ..
لها .. وعنها .. ومنها ينبع رأيي وسخطي ورضاي ... فلا
أعرف غيرها ولا أدين بعد الله وكتبه ورسله إلا بها ... أرى
الأشياء والأفعال والمعاني من خلال رؤيتها هي على مسار تاريخها
الذي درستته ، ودينها الذي اعتنقته ، وأدبها الذي عشتته وفكرها
الذي سافرت فيه بالعقل والروح .

من هنا كتبت فصلا ضافيا عن الدين .

ومن هنا كتبت فصلا عن الفن .

لأن مصر لها في الدين والفن مفهوم خاص وافق أرحب ..

ومن هنا ناقشت الأفكار الثابتة أو المفاهيم الثابتة التي نتوارثها
بدون نقاش أو اقتناع أو اقتناع . وغير هذا أسلوب مصر في الأخذ
والعطاء ...

ومن هنا وقفت عند الدعوة الى الدولة العصرية لأرثس الضوء
على خطاها في الطريق الذي تختار بعد روية وتفكير .

فالكتاب في فصوله كلها يدور ، شمعة ، حولها .. يستوحىها
الفكرة ، ويستهديها المعنى ، ويفسح لها الطريق لتسير .

بنور من الله

ونخر من العلم

وهدى من الدين

فما رشدت مسيرتها يوما إلا بكشف من هؤلاء .. وعطاء .

ومن هنا نريد :
الدين لله
والوطن للجميع
والعمل لذى الخبرة فيه
والأمر بيننا شورى
ليصلح آخرنا بها صلح به أولنا .. وهيهات أن يصلح الله
ما بنا حتى نصلح ما بأنفسنا .. وكيفما نكن يول علينا ..
هذا الكتاب مرحلة أخرى من الرؤية لشخصية مصر ..
في محاولة موصولة للوفاء
بها
ولها
فאלلهم اشهد ... ٩

دكتورة نغمات احمد فؤاد

أعيدوا كتابة التاريخ

مهما كتب الكاتيون أو تحدث المتكلمون عن (العبور) فلان الأذن تسمع وتقدر وتعى لان العمل صنيع شعب ومولد أمة من جديد... ورد اعتبار لا عن هزيمة عسكرية فحسب ولكن عن جيل كامل كان يعيش ولا يحيا .

(العبور) برادته ، وأدارته ، وأعجازه كان رد اعتبار عن قلبه من الفسولة والقباءة والعجز الاضطرارى فلم تمارس ملكات الشعب المصرى وطاقاته قدراتها الحقيقية حين أسقط من الحساب وعجز عن الحساب فلم يكن له رأى ولم تتح له فرصة وان كان فى أول الأمر أحس بغير قليل من الزهو القومي حين توهم بعد سقوط الملكية ومحاولة الاستعمار، انه صاحب الأمر من خلال مصرية الحاكم الفحة، فاذا به توسم الخير ، من طيبة قلبه فلما وقعت الواقعة ، أعطى الوعى للرجال حق التخطيط بما علموا ، فأعطى بدوره كل قادر وعالم عطاء كاملا .

وهنا وجد الشعب نفسه ، ووجدته الدنيا حوله ، على حقيقته عندما أُنحت له الفرصة ، واشترك فى الرأى واضطلع بالعمل ..

وهو درس، من دروس (العبور) يجب أن نعيه ونتخذة منطلقا لالوان أخرى من العبور فى نواحي حياتنا كلها .

وهنا نقول : أعيدوا كتابة التاريخ .

توقفوا عند انجازات الطوب والاحجار واسألوا أنفسهم عما وراءها ان كان وراءها شيء له قيمة باقية ... فليس الحاكم مقاولا لتقيسه بما تم على يديه من مبان وصروح مما قام في الحقيقة على اكتاف « الانفار » و « الفعلة » الذين رماهم بؤسهم أو خوفهم ففرضت عليهم لقمة العيش المرير أن ياتمروا بأمره ليسبح في عرقهم ولو غرقوا صرعى .

ان العصر التاريخي أو عصر الحاكم يجب أن يقاس بقيمة الإنسان فيه ... هل قال الفرد كلمته أو عبر عن رايه ؟ هل فيه حرية وأحرار ومفكرون ؟

ولناخذ تجربة قرية من تاريخنا الحديث ... في العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر وفي الخمسين الأولى من القرن العشرين كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطاني الذي قلنا فيه الكناية من أوصاف السوء ، ويحق . فلندع التشنجات اللفظية ونمض في تحليل الظاهرة ...

فقدت مصر حريتها السياسية وهي ليست بالقليلة أو الهينة . ولكنها أيضا ليست أنكى أنواع الفقد إذا أخذنا في الاعتبار أن الفقد هنا عارض محكوم عليه بالزوال وقد حدث بالفعل بل لعل الفقد هنا لو جاز أن له وجهها آخر ، يوقظ جوهر الشعب ويحفز عزائمه الى التفاعل والعمل في محاولة الخلاص منه ...

في عهد الإحتلال البريطاني وفي أوجه أى في أعقاب فرض الحماية على مصر أراد الجنرال مكسويل بصفته حاكما عسكريا عاما ، أن يفرض الحراسة على أموال المصريين الموالين للخدوي عباس ممن نفوا خارج البلاد فاعترض عليه رئيس الوزراء المصري وقتئذ حسين رشدي بأشأ مستندا الى القانون العام الذي ينص على أن الحراسة لا تفرض الا على الإعداء وفي زمن الحرب .

وحين عاود الجنرال اللنبى المحاولة عام ١٩٢٢ بالنسبة لسعد زغلول وصحبه اعترض عليه هذه المرة رئيس الوزراء الانجليزى نفسه لويد جورج !!

ولكننا عام ١٩٦١ بعد نصف قرن تقدمت فيه الدنيا ، فرضت مراكز القوى على مصريين الحراسة بشكل هجى للارهاب المادى والمعنوى . وجرى من المآسى والمخازى ما سجلته (لجنة الاقتراحات البرلمانية) التى تشكلت عام ١٩٧٢ .

هذا عن حرية العيش . أما حرية الراى ففى عهد الاحتلال البريطانى نادى لطفى السيد **بالمصرية** ، ونادى طه حسين بحرية الفكر والتحلل من الغيبات والهالات الصناعية نحيط بها كل قديم لجرد القدم حتى ولو كان صادرا عن غير أصحابه الظاهرين ... ناقش طه حسين الشعر الجاهلى فى عقلانية وانفتاح كبا ناقش مستقبل الثقافة فى مصر ... ولا أريد أن أقول أن كل كلمة قالها صواب محض فليس هذا هو المهم ولكن **الهام والأهم هو مبدأ حرية الراى والتفكير والقول والكتابة والنشر ...**

عبد العزيز فهمى وجد من نفسه وعمره ، **الشجاعة** ، على الجهر بأسببدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ... ومرة أخرى أقول انى لا أرى التصويب أو التهجين فى هذا الراى ولكنى أرى أولا حرية صاحبه فى اعتناقه والدعوة اليه .

على عبد الرازق تكلم والف عن أصول الحكم .

أمين الخولى تكلم عن مصرية الادب والتفسير النفسى للقرآن والبلاغة الحقيقية .

العقاد والمazanى انهما على أدب التشریفات والمدائح التسولية
وامتهان كرامة الانسان والفنان بالتبعية والتقامؤ والنفاق .

انهما على النظرية العتيقة المقدسة « بيت القصید » .

الدكتور منصور فهمى ، مصيبا أو مجانبا للصواب تكلم عن
حرية المرأة فى الاسلام .

الدكتور أحمد أمين، تكلم عن أدب المعدة وأدب الرأس
والعقل ... وتكلم عن العامية وأمثالها ومضامينها وجذورها
ودلالاتها .

تكلم عن الحياة العقلية للعرب فى فجر الاسلام وضحى الاسلام
وظهر الاسلام بما يشكل موسوعة جامعة .

محمود حمزى والتابعى استننا السهولة والخفة والسرعة فى
الكتابة ، والزيت دافع عن البلاغة ..

ارتاد الحكيم والمazanى وهیکل وأضرابهم طريقا القصة
والرواية والمسرحية .

ترجم محمد بدران وزكى نجيب محمود قصة الحضارة .

نزل أحمد فؤاد « صاعقة » على ألوان الفساد الموجودة فى
إيامه وكانت مسامير النديم ...

ألف إبراهيم عبده (الطور فى متحف الخزف) .

صدرت فى حقل الثقافة ، مجلات البيان والرسالة والثقافة
والهلال والمقتطف ولواء الاسلام .

لم تترك الرسالة بلدا عربيا الا خلطه بل لقد كانت المحلة
الوحيدة التى يقرعونها ويكتبون فيها حتى لقد كان السوريون

يسمون يوم الثلاثاء الذى كانت الرسالة تصل اليهم فيه ، يوم
الرسالة ، ولا يقول تائلهم يوم الثلاثاء

كما كان الاديوب من كتاب الرسالة عندما يزور بلدا عربيا ،
لا يميزونه باسمه بل بهذه الصفة فكان كتاب الرسالة فى هذه
الظاهرة كاهل بدر .

كانت الكتابة فى الرسالة شهادة للكاتب ترفع من اسمه وتعالى
بين الكتاب مكانه .

كانت الرسالة مدرسة ربت جيلا وربطت شعوبا ووصلت
بلادا ووثقت علائق ونهجت سبلا . كانت ريادة ومشعلا وسفارة
لمصر لم تعمل عملها السفارات .

ومن الغريب أو العجيب أن الرسالة والثقافة اللتين ولدتا
وعملتا بانفتاح ومقدرة فى ظروف عاصفة جثم فيها الاستعمار على
حياتنا ، احتجبتا فى عهد الاستقلال ! : الرسالة فى فبراير
عام ١٩٥٣ ، وقبلها « الثقافة » فى يناير عام ١٩٥٣ !!

وقامت بعدهما مجلات عدة تتعلق باسمهما تشبها ، أو لعله
تبركا ولكن واحدة لم تغن غناءهما أو تعمل عملهما أو تقف وقفتهما .

لقد كانت الرسالة تخوض المعارك معارك الراى والوطنية .
وبعض هذا: مقال الزيات المدوى (فلاحون وأمراء) على اثر اهانة
الأمير عمرو ابراهيم لأحد الاعضاء المصريين بنادى محمد على
ومقاله (الامتيازات والدين) ...

وحين فزع السادة أمراء ذلك العصر ذهب جمعهم الى محمد
محمود باشا رئيس الحكومة وقتئذ فنظر اليهم فى شموخه المعروف
وقال لهم : أنا معه بل ذهب الى القصر مهتاجا ..

وارتطم صاحب الرسالة بالقصر بعد هذا في مقاله (ليس بعد الدين وازع) على اثر زواج فتحية من رياض غالى ... وفزع القصر لولا ان توسط في الامر محمد حسن يوسف وكيل الديوان وقتئذ ..

وهكذا كانت الرسالة مجلة أدب وثقافة ومبدأ وهدف وأسلوب وغاية ...

والى جانب الرسالة والثقافة كان مجلة (الهلال) تعنى بالتاريخ ، و (المقتطف) يحتفل بالعلم و « الكتاب » يحتفى بالأدب ، و « الكاتب المصرى » تعنى بالترجمة ، كانت هذه المجالات تهتم بالفكر وكأنها الصورة الجديدة لمجلة « البيان » التى صدرت سنة ١٩١١ .

ماذا بقى لنا ؟

أو ماذا عندنا ؟

عدمت الريادة يوم عدمت الحرية الداخلية وكانت موجودة بل سباقه محققة والحرية الخارجية مكبلة ترهتها انجلترا ، وتجرحها الامتيازات الأجنبية . اليس هذا عجيبا ومذهلا ؟

ومن الغريب اننا حين اطلقت الحريات لم يوجد الكتاب الاحرار لان الكتاب لم يتمرسوا فى شبابهم بالحرية فلما فتح بابها عليهم لم يفتح عليهم القلم بشئ !!

ماذا حدث ؟

تشارك كل شئ فى مصر أى صار اشتراكيا !! لا عن عقيدة اذن لساغ الأمر ولكن عن مداينة . فاستاذ الاقتصاد كتب عن الاشتراكية .

وأستاذ التاريخ السياسى كتب عن الاشتراكية .

وأستاذ التاريخ الطبيعى أيضا كتب عن الاشتراكية .

والادب كتب عن الاشتراكية .

حتى علماء الدين كتبوا عن الاشتراكية !

الكل التقط مانشيتات الصحف وراح يرددها فى ببغاوية مضحكة
الضحك الذى يوصف بأنه كالبكاء .

تعدى السلطة أمريكا فتنسحب العداوة فى درجات السلم
الهرمى على كل ما هو أمريكى حتى الفكر والثقافة مع أن الدين
يقول بأخذ الحكمة ولو من أهل النفاق، وبطلب العلم ولو فى الصين .

وقبل هذا عادت الملكية ، الشيوعية ، فاذا بكل ما هو روسى ،
منفر يثير الذعر حتى القصص على عالميته ...

رسمت قومية عربية ، فسار الكل وراءها يرددون
كأنها حلقة ذكر غير أنها لم يذكر فيها اسم الله أو اسم
الوطن ...

مسخت حياتنا مسخا مشوها فلا هى الى الشرق ولا هى الى
الغرب .. فصمت من الماضى وعزلت عن الحاضر .

غامت الرؤيا وانبهم الهدف

ان رواد الخمسين الاولى وأعلامها ، لو تأملنا مسيرتهم ، نجد
أن فترة الخصب العقلى والابتكار عندهم فى أعمالهم ، كانت
العشرين أو الثلاثين سنة التالية لفترة التحصيل أى التى تقع بين
الثلاثين والستين .

فماذا صنع شباب الخمسينات من هذا القرن ؟ داروا فى الساقية
أو انخرطوا فى الطاحون .

ضاع البريق •

لا رأى يهز ، ولا فكر يجدد ، ولا ابتكار يرتاد ، ولا جدية تنال ، ولا اسم يتألق •

سادت الوهولة والانهائية والبفاوية والحرناوية ...
وبالطبع الأمية •

وكانت النتيجة أن ضاق كل شيء بكل شيء كما يقول نجيب محفوظ حتى الخيق ضاق بالضييق ...

وهنا لم يملك الأدب الا الرمز ليعبر عن تمرده أو يبرىء ذمته ولو بأضعف الايمان •

فماذا وراء الرموز ؟

فتح الأدب بنكا للقلق ... يقول توفيق الحكيم « في وعى »
ما من أحد الآن في حالة طبيعية لأن القلق منتشر بل سائد
بشكل وبائي عند كل الناس حتى الذى يملك مائة مئدان يعيش في
حالة قلق !

لماذا ؟

في بنك القلق أكثر من جواب :

« ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » •

« كل انسان في حاجة الى أن يتكلم وأن يصيح وأن يوافق
وأن يعارض » •

« كل ما يخشاه — الانسان — هو أن يرغم على قبول شكل
في الحياة يسجنه » •

« أصبح الواحد منا يتخبط اليوم في بحر واحد من قلق شامل
لا يطلق » •

« - الإنسان المصرى المعاصر - يعيش فى مجتمع هش ليس
بداخله ايمان حقيقى بشئ أكثر من اقتناص المغنم ! » .
مجتمع برجوازى داخل قمط اشتراكى .

والشباب ... » الشباب اغرقوا أنفسهم فى كل بلاد العالم
فى خبط الجاز والروك أندول والخنافس وما شابه ذلك من ألوان
الضجيج والحركة العنيفة والأصوات المزعجة ! .. ليواجهوا خبط
الكبار فى ضجيج الحرب والقمع والمؤامرات والمخابرات ! صخب
عام فى حانة كبرى ، ضمت الكبار والصغار ... وان اختلفت
ادوات الزياط وألوان الخمر ! »

بنك القلق اذن « مكان للتنفيس ... رئة يخرج منها الزفير
الفساد ! خير من أن يكتنم هذه هى جوهر فكرة هذا
البنك » .

وهدف بنك القلق (ترك الناس تتكلم ... أقصد اتاحة الفرصة
للزبون يفضى بكل ما فى صدره .. يكشف عن مواطن نفسه
عن أسباب قلقه) وقد تكلم توفيق الحكيم نفسه فى (شمس
الفهار) و (السلطان الحائر) ولو أن دور سلطان العلماء الشيخ
عز الدين عبد السلام فى التاريخ أكبر وأرسخ من دوره على
المسرح .

والفنان وسط هذا الزحام (هو الوحيد فى القرية الذى أدار
ظهره لحركتها الدائبة ، وانفلت من المحاريث السائرة والنوارج
الدائرة والسواقى الناعرة وذهب الى شط التربة يقطع سيقان
البوص ويصنع منها مزامير ...)

ولكن المزامير وحدها لا تكفى ... وقد أحس الفنان نفسه
بهذا لأن الامة المطحونة لا يطب لها الغناء وحده ... بل انها

فُ حاجة الى من يعيش مشاكلها وينفُض همومها بالتعبير عنها
وطرح علاج لها وتنفيذه ... ولهذا دخل الأدب في مرحلة جديدة
لم تخطئها حتى عين العدو فيها يقوم به من دراسات على الأدب
العربي بعد عام ١٩٦٧ مما فصله كتاب الهلال « الأدب الصهيوني
المعاصر » .

في الستينات بدأت القصة المصرية تتحول عن الواقعية الى الرمزية
وسفرت هذه الظاهرة بشكل خاص عند الروائي الاديب
نجيب محفوظ الذي يمر الآن بمرحلة جديدة من مراحل الفنية .

نجيب الآن مباشر يركز على الحوار المشع بالأفكار الفلسفية
التي تتواكب في توال كطرقات المطرقة النشيطة في أسلوب مدب
الفاظه شوكية في قصته (ثرثرة فوق النيل) .

هل بعد الضياع عذاب ؟ (فيا اي شيء افعل شيئاً فقد
طحننا اللاشيء) .

في قصة نجيب محفوظ ظاهرة هروب المثقفين الذين يعون
حركات التاريخ لا الى العوامة وحدها ولكن الى شريط التاريخ
القابع في رؤسهم . وهي ظاهرة ملهوسة اليوم في أدبنا القصصي
والمرحى - فيفرون محفوظهم أو يستعرضون الشريط كلما
تشابهت المواقف أو الظلمات وكأن الأمر (توارد خواطر) .

مجمود الروتين وبلادته وتحجره في غباء ، وعبثه في لا مبالاة ،
يورث الدوار . وفي (غيبوبة الدوار تختفى جميع الأشياء الثمينة ...
من بين هذه الأشياء الطبم والعلم والقانون والكلمات المشتعلة
بالحماس) وعجأة يتذكر الانسان جرائم المهالك الذين كانوا
(يطلقون اللحي ويثيرون الغبار ويفرحون بالأبهة والتعذيب) .

ولكن البغاة راحوا ... انداحوا ... وبقيت مصر .. مصر
البسطاء الذين يقومون بالأعمال التي تبدو بسيطة وهي في الواقع

ملك الأمر وسره . فهمى كالعوامة والرجل البسيط كعم عبده هو كل شيء . . انه العوامة ، لأنه الحبال والفناطيس وإذا سسها عما يجب ، لحظة ، غرقت وجرفها التيار .

ما هى الأسباب التى حولت طائفة من المصريين الى رهبان ؟ والسؤال هنا استقطب الزمن ليصل الى مصر المسيحية حين اليأس من عدالة الارض واللياذ بكنف السماء ثم الصحراء

فى القصة عملية تشريح للأخلاق والسمات والأقنعة الخارجية التى سقطت الواحد تلو الآخر فى قاع النيل .

ففى القصة سخرية من المظاهر والاطارات والشعارات والتقاليد .

سخرية من سقوط الفلسفة .

سخرية من التمثيليات الهادفة .

سخرية من موقفنا من الأحداث وكأننا (أحمد نصر) أو عم عبده الذى يطل على المعمة من أعلى البرافان على سبيل الفرجة أو التسلية .

سخرية من النفاق .

سخرية من لويس السادس عشر الذى لا يدرى شيئاً عما يدور فى الخارج .

سخرية من الغزاة الذين يتحلون بقسوة حادة كالدرع .

سخرية من الهاربين من لاشيء الى لا شيء والمقتولين بالسم لبطيء والقاتلين على السواء .

سخرية من المخبرين الذين يراقبون المفيقين لا المساطيل .

سخرية من المتعالمين (ذرية علماء النحو) .

سخرية من (أخذ الأصوات في ديمقراطية دامية)

سخرية من الخوف من كل شيء حتى يغدو صاحبه لا يخاف شيئاً .

، سخرية من العوامة التي تشيع فيها النكتة كحركة تغطية نفسية
ثم تنعدم حين تصبح الحياة فيها نكتة سمجة ، أشنع تهمة فيهما
هي الرجعية . فكل قلم يكتب عن الاشتراكية (على حين
تحلم أكثرية الكاتبين بالافتناء والاثراء وليالى الانس في المعجورة) .

ضاق كل شيء بكل شيء حتى الضيق ضاق ، بالأخربالضيق .

وفي زحام (الثرثرة) تفترق هذه العبارات :

(ان السفينة تسير دون حاجة الى رأينا أو معاونتنا وأن التفكير
بعد ذلك لن يجدى شيئاً ، وربها جر وراءه النكد وضغط الدم)

— (نحن نعيش فوق الماء فنهتز لوقع أى قدم) .

— (ليس الانجليز وحدهم الذين يقتلون بالسم البطيء) .

— (راحوا يتساءلون عن كيف يبدأون ، وكيف ينظمون أنفسهم ،
وكيف يحققون الاشتراكية على أسس شعبية ديمقراطية
لا زيف فيها ولا قهر)

— (تدارسوا) العرافيل المتحدية ، والأخطار التي قد تحيق بهم
كمصادرة الأرزاق والاعتقال والقتل) .

— (الخيام الذي كان مدرسة أمسي فندقا للهلذات) .

— (أيها الحكيم القديم « ايبو — ور » أقدم بعصرك الذي اضمحل
فيه كل شيء الا الشعر وأسبعنا الفناء . حدثني ماذا قلت
لفرعون . أقبل الحكيم « ايبو — ور » وهو ينشد) :

ان ندماءك قد كذبوا عليك

هذه سنوات حرب وبلاء

قلت أسمعنى مزيدا أيها الحكيم ! فأنشد :

ما هذا الذى حدث فى مصر

ان النيل لا يزال يأتى بفيضانه

ان من كان لا يملك أضحى الآن من الاثرياء

يا ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت

قلت ما ذا. قلت أيضا أيها الحكيم (ايوب — ور) فقال :

لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد

انظر كيف تتهنأ أوامر

وهل لك أن تأمر حتى يأتى من يحدثك بالحقيقة .

نجيب محفوظ الآن يلتزم قضية شعبه يحس بضغط هوميه
ويعبر عنه فى قصة « ميرamar » عالج انتفاض البسطاء المطحونين
— من خلال زهرة — الذين يعيشون مع الغالبية فى أيام (منحوتة
من العسر والصخر) . «الأيام التى تسبق مباشرة يوم القيامة» . . .

كشف الادعاء فان كثيرين من محترفى السياسة والاهمية
والمشغولية كسرحان البحيرى (لا يعرف الفارق بين الوفد والنادى
الاهلى) . . . كسرحان لا يهتم فى فى أعماقه بالسياسة رغم نشاطه
الموفور فيها أو كشعبان بنك القلق (اشتراكى مائة فى المائة !
وان كان بينى وبينك لا يعرف ما هى الاشتراكية) .

نفاق ومنع كما يشول نجيب محفوظ أو (اشتراسمى) كما
يقول الحكيم فى « بنك القلق » . . .

والأجيال عند نجيب محفوظ في « ميرamar » متواكبة فهي يكمل بعضها بعضا ولولا الجيل السابق لما تحقق للجيل اللاحق وجود ...

وهو مذعور من فكرة مصادرة الثروات لأنه يؤمن بأن من يقتل مرة قد يعتاد القتل ...

ان الجنة عنده (هي المكان الذي يتمتع فيه الانسان بالأمن والكرامة أما النار فهي ما ليس كذلك) .
وحين تغيم في عينه الأشياء يتساءل :

« البحر يترامى تحت سطح أملس باسم الزرقة فأين العاصفة الهوجاء ؟ والشمس تهوى الى المغرب مرسله شعاعا ماسيا يلتحم بأهداب سحاب رقيقة فأين جبال الغيوم ؟ والهواء يلعب سعف النخيل في غابة السلسلة بمداعبات شفافة رقيقة فأين الرياح الهوج المزلزلة ؟ » .

ان التوازن كما يقول (لا يرجع الى الأشياء الا بزلزال شامل)
(اننا نلدهور معا بأكثر مما تصورت لكننا سنخرج من التجربة كالمعدن النقى)

وأعطى نجيب محفوظ هذه الفترة (اللص والكلاب) ، (والسهمان والخريف) ، (أولاد حارتنا) ، (تحت المظلة) وقصته القصيرة (الطبول) طبول الرحلة العقيمة والمستفيضة وأخيرا (الكرنك) .

وفي السبعينات أخذ احسان عبد القدوس ينتمى الى مدرسة نجيب محفوظ الرمزية ... مدرسة ثرثرة على النيل ، و (ميرamar) و (روبابيكيا) ... بدأ يخدم الرمز ششفافا وكثيفا في قصة « رصاصه واحدة في جيبي » ومسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص) .

مصر عند نجيب محفوظ في قصة روبابيكيا مطمح الجميع ومطمح ولكنها في النهاية تسحقهم وتحيلهم الى حطام ملقى في عربة روبابيكيا ، وتتخطر هي على النيل جميلة مثقفة مثالفة شبابها أخضر دائئا وعودها ريان . رأسها شامخ وجمالها فتان .. محاسنها تغرى وتسبى ولكن الويل لمن تحدثه نفسه بالاشتراب منها .

ومصر عند احسان (١٩٧٢) . هي فاطمة الطيبة الجميلة في الثوب الاخضر ... وميمى السمرء الحلوة (أجمل واحدة في الدنيا) التي لا يكتفيها جمالها ولكنها تبحث عن جمال عقلها وجمال ارادتها ... انها تريد أن تتبدى كما خلقها الله بصباحتها كلها ... بحلاوتها كلها بنفاستها كلها تعطى الحياة ما تريد ... وتأخذ منها ما تختار لا يطرף عينها شيء ولا يعلو وجهها نقاب أبيض أو احمر ...

تريد أن تسير في طريقها هي التي تعرفها لا تلتفت الى يمين او يسار لانها قبل اليمين وقبل اليسار ، بالوف السنين ، لها مسار .. ولها أسلوب شخصية .

وتستطيع أن تعرف فاطمة من نوعية حب المؤلف لها انه ليس حبا خاصا يتعلق به وحده .. انه حبا جميعا لأن فاطمة هي مصر ...

(فاطمة حبيبتى ... أنك لا تستطيع أن تتصور مدى حبي لفاطمة ، ولا كيف أحببتها . انه حب تضعف أمامه الكلمات ... بل أن فاطمة وأنا لم نكن نتصور ان ما بيننا اسمه حب ... انه احساس ولدنا فيه ... انه الحياة نفسها ...) .

هل هذه فتاة محددة ومحدودة ؟ لا ... انها حلوة الأبد في قلب كل مصرى . انها جميع الفتيات وجميع الفتيان .. جميع

الرجال .. جميع الاطفال ... انها الحياة نفسها .. انها مصر ...

أما الشعب المصرى فى القصة فهو (طالب الفلسفة) الطيب الهادئ الذى يعيش السلام والاحلام والخيال . فهو يحلم دائما (بالمخلص) ، ولهفته عليه تجعله يتعلق بكل بارقة أمل تلوح . فما يكاد يرى (عباس) شابا مثقفا هادئا مهتسما دائما حتى هزل له وكبر وتوسم فيه الخير كله ... وتسلل عباس شيئا فشيئا حتى أصبح المشرف الزراعى المسيطر على الجمعية التعاونية ... المفتش والجمعية التعاونية هى السلف الزراعية وهى الكيماوى وهى المبيد وهى التراكثور أى أبواب الرزق جميعا ...

ومع هذا أحبته القرية ... وأحبته فاطمة (باحلامها البريئة وبالخرافات التى تملأ خيالها عن صور المستقبل السعيد) .

ولكن فاطمة بعد أن استولى عليها عباس غدت بلهاء ... فى عينيها مأساة . تقف كأنها على حافة بئر تكاد تقع فيها ... فاطمة الجيلة الحلوة الهادئة أصبحت فاطمة الحائرة وجهها مكدود وقلبها مهدود ، وكرامتها مئخنة بالجراح ...

ويتساءل صاحبها الحقيقى الذى يحبها أغلى الحب وأصدقته :

(كيف أعيد اليها شبابها ، ولعة عينيها . كيف أجعلها ترتدى الثوب الأخضر الجميل الذى أحبته عليها دائما كيف ؟)

ومصر فى مسرحية (لا أستطيع أن أفكر وأنا ارقص) هى الراقصة ميمى انها كالطير يرقص مذبوحا من الالم .. وميمى مجروحة نصف مذبوحة طارت ذراعها ونزف دماها ويريدونها على أن ترقص ويتجاذبونها ناحية اليمين وناحية اليسار وبينهما من البعد والتناقض ما بين المشرق والمغرب ولكنهما يتفقان على امتصاصها ، وتشقى وتتمزق وتقف لتسقط من الداء والأعياء والمرارة وإحساس الضياع والقهر . ولكنهم جميعا يرتدون من عذابها وعطائها

«جائكة مذهب» حتى «مجاهد» خرج من عندها يرتدى هذه
 الجاكت على البنطلون المهلهل الذي كان يرتديه . ويسير في عظمة
 ونخامة كأنه أصبح رجلا مهما .

انهم جميعا وعودهم لها هباء ، وقلوبهم خواء ، وعينهم مسعورة
 لا تمتلئ من جمالها وجسدها . وهى لا تطيقهم ما تكاد تقترب منهم
 حتى تحس لهم فحيحا تنفر منه السمراء الجميلة (أجمل واحدة
 في الدنيا) التى تقطر عسلا وشهدا ... ولكنها نعرف انهم
 يمسون عودها وتخشى أن تصير (نفلا) ... انها لا تصدق
 دعواهم الكاذبة . انها لا تريد ذهب هؤلاء ولا دفع هؤلاء ولا حتى
 تقبلتهم الذرية ... هى تريد أن تحمى نفسها بنفسها وتعطى
 نفسها بنفسها .. (الى أقوى منى سيدى ... نفسى اعشى
 من غير سيد) . وحين يوقن «مجاهد» من رفضها لنفسى له .
 يحاول أن يتفق مع فؤاد (المطبلاى) الذى لا يصدقها النصيحة
 بل يريغ لها من النعمات ما ترقص عليه رقصة الذبيح . . . فؤاد الذى
 (ينقر على طبلته) أى (أيدلوجية) حتى ضيعت طبلته الجميلة
 السمراء ، التى قذفت بها على الارض وحطمتها ، لأنها غررت بها
 وخدعتها ، وشغلتها عن البناء ، الحقيقى ، حتى داهمتها الطائرات
 والدبابات ، وراحت فى الحرب ذراعها ، وتعطى وجهها الأسمر
 بالدماء ...

ويتساءل المؤلف :

(يا ترى نبتدى نضرب اللى ضرب ميمى والا ناخذ ميمى ونرجع
 الكباريه الأخضر ؟) .

وأقول :

ابدا لن نرجع الجميلة السمراء الى الكباريه ... سنعود الى
 الوادى الأخضر نزرع وتبنى وتصنع وتمجد العلم وتبدع الفن

وتشكل الحجر وتطعم الخشب وتخوض المعركة أيضا ... ستعود
الى الوادى الأخضر ترفع للسلم صروحا ، وللبطولة رايات ...
وفى مجال الرمزية كتب الدكتور يوسف ادريس قصصه :
« حامل الكرسى » و « الرحلة » و « وسنوبزم » ...

وكما رمز نجيب محفوظ الى الشعب المصرى ببواب العوامة
الذى لا يعرف أحد بدايته أو نهايته ، والذى لا يحسب حسابيه
المتسلطون الناعمون فى العوامة ، وفى قبضته حياتهم ... فى
استطاعته أن يفك الحبل فيغرقهم ، رمز الدكتور يوسف
ادريس الى الشعب المصرى **بحامل الكرسى** الذى يتعجب الناس
من قوته وهو بادى الضعف ... ضعف الجسم .

وقصة الدكتور يوسف ادريس « الرحلة » مملوءة بالرموز
الشفافة حيناً والكثيفة أحيانا أخرى

والدكتور يوسف ادريس فى قصته « سنوبزم » رمز الى مصر
بالسيدة العفيفة التى تركب الأتوبيس بين أهلها وناسها فإذا بها
يتحرش بها أثيم ويسىء اليها ، ويحاول أن ينال من وقارها ، بل
يحاول أن ينال من عرضها ! والناس يرون ويتعامون ، أو ،
(يفوتون) أو يمالئون الظالم ! وعند هذا الحد انبرى أحد الركاب
وهو **دكتور فى الفلسفة** (رمز المثقفين) وأخذ يهاجم هذا
الوضع الشائن فسلقوه بالسنة حداد ولكموه لكمة تورمت منها
عينه وخذفوه خارج الأتوبيس !!

وما أكثر الذين قذفوا خارج (الأتوبيس) .

هذا فى الأدب أما الصحافة فقد غدت صحائفها كنفصل (البلاد)
كل ينقل من السبورة (**السوداء**) مها كتيبه (المعلم) بعد أن
كانت الصحف كساحة البرلمان ميدانا للمناقشة والمعارضة .

تناولت الصحف يوما مرتب وزير العدل ويقرأ عبد العزيز فهمي عناوينها وهو في طريقه الى الوزارة فيغير وجهته ويأمر سائقه ان يتجه الى قصر عابدين وهناك قدم استقالته الى الملك فؤاد قائلا :

— كرسى العدالة يهتز من تحتى ١٠

ولكن جميع الكراسى ظلت ثابتة لم يقلقها شئ حين عزلت مراكز القوى القضاة بالعشرات ودفعة واحدة لانهم طرحوا رأيا في عريضة ،

ماذا يجدى سد أسوان أمام سد الخوف ؟ ان الانسان المصرى لم يبدع حضارته فى أى عصر الا حين تحرر من الخوف ...

لقد قامت الدنيا فى مصر وقعدت يوم قدم رئيس ديوان المحاسبة محمود محمد محمود استقالته لأن حقّه اقتقص فى مراجعة ميزانية الدولة .. وقامت الدنيا وقعدت يوم أجرى الملك فاروق تصليحات فى اليخت فخر البحار ، وناقشته الصحافة والبرلمان علنا لأن تجديد اليخت سيتكلف آلاف الجنيهات فماذا فعلت الصحافة مع مراكز القوى يوم ضاعت آلاف الملايين ؟ أصابها الخرس بل ان بعضها وجد فى نفسه الجرأة ، ولا أدري كيف ، فحاول التغطية أو التبرير بصورة فاضحة !

هوان وصغار .

لم تعد هناك صحافة سياسية

ولم تعد هناك صحافة اجتماعية .. وغدا الكتاب :

كاتب صومعة وهؤلاء قلة يحتاجون الى صبر الرسل ليطيئوا العزلة والتقص والمجاهدة .

وكاتب حر يلوذ بالرمز .

وكاتب حرباوى ببغاوى وهؤلاء كثرة لأن مهمتهم سهلة وثمنهم

رخيص .

كانت الصحافة ، صحافة أحزاب نعم .. ولكنها كانت صحافة رأى فى الوقت نفسه .. أما صحافة اليوم فهى صحافة مذاهب وموجات .. أو كتابة على ظهور الاعلانات .

بين يوم وليلة تصطبغ ادارات الصحف باللون الأحمر وتنفيس الأقلام والحروف فى هذا اللون ثم تنحسر هذه الموجة وتضيع فى غيابات اليم أو السجن ليأتى مد موجة أخرى بيضاء .. وتقترب مراكز القوى أثناء هذا من دولة ، وتناسب العداء دولة أخرى فتتعاقب تبعا لهذا ، الموجتان وكأنهما الليل والنهار ...

وتمذهب تبعا لهذا الفكر وعلاقات انفس ، بل بلغ الأمر ان الادب ائتم بالميثاق !! كأنه فـرغ من تضايه كلها ، وكأنه نال منه الجهد من كثرة الخلق والابتكار فتخفف من مهامه الكبيرة ليؤلف كاتب عن **مفتاح الميثاق** ! .. وما دامت مكتبتنا المصرية العربية تعتر بالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، فان كدابه الزفة ، امعاننا فى التقديس الأبيسى ، وضعوا معجما لالفاظ الميثاق !! أو مفتاحا ... ولا أحسب أن أحدا طلب منهم هذا .

وامتلأت الشوارع بلافتات القماش المكتوب عليها عبارات الميثاق لتأخذ على الناس طريقهم .. ولم يفكر أحد فى كتابة أو تعليق آية واحدة من القرآن الكريم حقا .. كتاب الله . تحتسى بلا امبراطورية واحمس بلا انتصارات .

والتمسق بنا النفاق حتى سلمنا به . فنجيب محفوظ يقول على لسان أحد أشخاصه (يا أمة عريضة فى النفاق)

درس الميثاق فى جميع مراحل التعليم لا تستثنى من هذا الجامعة حتى كليات الطب والعلوم وكاننا نسهم به فى التكنولوجيا الحديثة بل درس الميثاق فى كلية أصول الدين !!

وحفظ أطفالنا في المدارس :

أنا عربي أبى عربى الخ .

فنفر المصريون الصادقون من دعوى وإدعاء القومية العربية
لا لعيب فيها أو بغض لها ولكن للأسلوب الذى يمس تاريخ البلد
وفي الوقت نفسه لم يصدقنا العرب بل رأى فيها البعض غرضاً
خبئاً ... لم يصدقنا العرب ولم يحترمونا — لأن الذى لم
يحترم مسره أى ثمره وعنوانه مارق أو رخيص .. وكان العرب
يحترمونا قبل هذا ويحبوننا لذاتنا وباعتبارنا مصريين .

قابلنا عربياً كبيراً على الباخرة اسبريا فقال فى معرض حديثه
عما فقدناه من أرض فى البلاد العربية : (كان العربى منا يحلم
بأن يكون له موطئ معزة فى القاهرة .. وكانت الأرض عندنا
تعرض بعشرة قروش للمتر مسلاً تجد مثقياً ..
الآن لا يفكر أحدنا فى ادخال ماله القاهرة ... وقد ارتفعت الأرض
عندنا فبلغ ثمنها مئات الأضعاف !) .

كم فقدنا ليثرى الآخرون ويعمرؤا ويركبوا ظهر الموجة التى
عميت عن الأعماق الزاخرة من رعونتها .

كانت نساء مصر كظباء مكة صيدهن حرام . فإذا بالآلاف من
نساء مصر يدفعهن ذل الحاجة وقسوة الحياة فى وطنهن الى
الخدمة أو الى ما هو شر من الخدمة مما ترغبن عليه ،
وترغبن فيه ، ملاهى بيروت .

خطب ملك الحيثيين يوماً الى فرعون مصر ، أميرة مصرية ،
تقرباً اليه ، وكسباً لرضاه . فلم يكتف ملك مصر بالرفض ، بل ثار
ثورة عارمة كيف يتجرأ غير مصرى على التطلع الى الزواج من
مصرية !

من عزة القوة ، وعز الجاه ما فعل ...

أه لو كان يدري بهن تزوجوا المصريات رقيقاً، بغير عقد مكتوب !

وفي غمرة هذا الفت الكتب عن عروبة مصر فكانت بمحاولتها اللاهثة اثبات دعواها ، تنفيها لا تؤكدنها بما تكشف من عملية الافتعال لأن البديهييات لا تحتاج الى اثبات . والشاعر العربي نفسه يقول :

وليس يصح في الأذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
وفي هذا الصخب لم نقرأ بالطبع كتاباً واحداً عن عروبة الحجاز
لأن النهار كما قلنا أو كما قال الشاعر ، لا يحتاج الى دليل .

وتجاوزت هذه الدعوى الأغراض السياسية الى الكتب المدرسية بدءاً من المرحلة الأولى الابتدائية ليحفظ الطفل المصري مع (أنا عربي أبي عربي) ، خزعات أخرى عن أصل الشعب المصري ! مع أن الكتب العربية تتحدث عن العرب العاربة والعرب المستعربة كما تتحدث عن (فتوح البلدان) .

مهما جهدت الموارد والمعاني المتداخلة ، فإن الحقيقة التاريخية لا تتغير ولكن يمكن درسها وتقييمها تقييماً صحيحاً ... فتح العرب مصر ولكننا اذا تخطينا (حنة) الفتح بظروفه وملابساته ، وجدنا أن الفتح العربي بعد تاريخي أو سياسي ولكن الحرب الرابعة بيننا وبين العدو الحقيقي ، اسرائيل ، علمتنا أن المنطقة لها بعد ميتافيزيقي .

ان الأديان محلية .

والسياسات زمنية .

ولكن المنطقة لها منطق واحد وهو أكبر كثيراً من سائر—

المحليات . لقد تكلم الهواة كثيرا عن القومية العربية ثم عن قومية
المعركة ، والخلافات تنمو وتترعرع على رنين الخطب البلاغية
أو العامية فلما جددت الحرب ، ولدت لساعتها القومية العربية
وقومية المعركة معا في ساحة النضال ، مما أذهل العالم بل اذهلنا
نحن أسرة المولود. وتأكد صدق الطائي في فتح عمورية وتبين حقا
أن السيف أصدق أنباء من الكتب **والخطب** .

واتضح للغيورين ما وضع للمشايخين أن المنطقة كل واحد
تختلف أجزاؤه اختلافا كبيرا. أو صغيرا كما تختلف الاعضاء
والوظائف في الكائن والكيان . ولكن الروح واحدة لا حياة للجسم
جملة وتفصيلا الا بها . . .

يكفى آصرة الدين واللغة والالم والامل ، **بعد الجوار** نلتقى
جميعا على **المحبة والمصلحة** في وقت واحد .

ان مصر تخسر الكثير بدون البلاد العربية

والبلاد العربية تكسب الكثير بوقفه مصر معها : **الكلمة** ،
والمكانة والوزن السياسى والحضارى وكفاءة العلم والفن وهى قيم
أكبر كثيرا من أموال الدنيا .

ان الذى يحب مصر **بوعى** ، يحب جيرانها ، لأمن مصر ان لم
يكن لذاتهم . . . ولكن (ذاتهم) تستحق الحب والاحترام والشكر
بما أدوا وما بذلوا في نبل وذكاء معا وبلغوا الغاية في الأداء والوفاء .

وفي هذه الغمرة حاول المنافقون اسقاط **الماضى** ، امسنا
منهم في تعظيم **الحاضر** ! . وفاتهم ان طبيعة الاشياء تنفى وجودها
من العدم. وفاتهم اكثر أن انسلنا بلا جذور ، **لقيط** معنويا وتاريخيا
وحضاريا . ولكنهم أرادوا أمة **التاريخ بلا تاريخ** حتى يقترن ميلادها

بظهورهم على مسرح الأحداث وان كانت الرواية ملهاة هزلية
يأبأها الطموح ، أو مأساة دموية تقشعر منها الأبدان .

وفى مواكب الأردية الصفراء والحمراء، وخفافيش الظلام والمتائين
والدلسين و(هراسير المستنقعات) و«أشباح النهار». فى هذا الموكب
النفوغائى أحس كل ذى قيمة بالافتراق النفسى والزمانى مهاجر
الكثيرون الى الخارج وكانت مصر وطن من لا وطن له . ونشطت
أمريكا فساعدت على الهجرة أو الاستنزاف العقلى والكيانى
بأغراء المال .. وكم من طاقات وقدرات ضاعت من أيدينا .

يقول الفنان حسين بيكار :

(قد انتقلت عدوى الهجرة من العلماء الى الفنانين وهذه ظاهرة
قد تكون صحية لو كان لدينا فائض من الكفاءات نصدرة للخارج .
والطيور لا تهجر أوطانها الا عندما تهاجمها الثلوج فتضطر الى
تقطع آلاف الأميال بحثا عن الدفء لتبنى هناك أعشاشها) .

حتى المبعوثين رفضوا العودة ! .. حتى الجامعات التى
نضبت ولم تشهد مناصاتها خلفا للرعيلى الأول ، رأت الهجرة هى
الأخرى مهاجرة المتميزون الى الشرق أو الغرب بل هجر استاذ
جاد معطاء الجهد والعقل كالدكتور جمال حمدان ، الجامعة الى
العزلة ايثارا للانتاج بلا تحطيم .

هرب الكتاب المصرى الى بيروت حيث تجارة النشر والتوزيع
الحر .. وما بقى فى مصر اغتصب اغتصابا وزور وحرف اعتمادا
على سلخافة الروتين فى مصر التى يقف أمام سيادتها ، الناصر
المصرى مع الطابور الطويل ... والى أن يأتى عليه الدور فى
طابور الورق ثم فى طابور التصدير ثم فى طابور النقد ، تكون
بيروت أخذت حريتها وراحتها فى استغلال الكتاب المصرى ،

والرياح ، والاثراء من ورائه ، وأصحابه في مصر تكاد تذهب
أنفسهم حشرات .

واذ هرب الكتاب المصري الى بيروت ، هرب الفكر المصري
الى الكويت حيث يتحرر ويحرر مجلة (العربي) ومجلة (الفكر) !
وكانت مصر تربة الأحرار والافكار والحضارات . تهب حركات
التحرير فتؤازرها مصر بالتأييد والتوجيه والاذكاء . ويمتحن الأحرار
فيطلعون الى اللياذ بمصر . وفيها تحلقت حول جمال الدين الأفغاني
القدوة . واليها قصد الكواكبي . . . وبها اتصلت حياة الأحرار ،
واسباب أصحاب الدعوات .

ان مصر وهى محتلة في أواخر القرن التاسع عشر لم تكف
بالدعوة الى الحرية السياسية في الداخل بل امتدت بها في المنطقة
فالتف السوريون ١٨٨٥ حول الشيخ محمد عبده (يتلقون عنه
دروس العلم والحكمة والخير) ، كما يقول الدكتور أسعد أطلس . .
وأحدث الشيخ محمد عبده في بيروت (انقلابا عظيما) .

بل ان بعض الدعوات السياسية في بعض بلاد الشرق يخطط
لها في مصر . اذ قبل أن تولد الباكستان كان رجالها يلهمون بالقاهرة
ليضعوا الخطط لتحرير بلادهم . وليس الى الشك من سبيل ، أن
جزءا كبيرا من تاريخ باكستان المعاصر قد كتب في مصر . . وفي
مصر كتبت فصول من قصة تحرير اندونيسيا . . . وكذلك تونس
والغرب وليبيا والجزائر وكثير من بلاد افريقيا وآسيا .

كما قامت في مصر الدعوة الى الإصلاح الديني على يد محمد
عبده والمرأى . ومن مصر نبعت الدعوة الى تحرير المرأة اضطلع
بها قاسم أمين وتبعه الزهاوى في العراق .

فاذا تجاوزنا العصر الحديث ، وأوغلنا في القدم بضعة قرون ،
نجد أن مصر بعد غارات المغول والتتار في الشرق ، وحركات الفرنج

في الغرب (اسبانيا) ، كثرت الرحلة الى مصر وتجمعت للحركة
الفكرية في القاهرة .

وكما حفظت مصر من الضياع آداب اليونان وعلومهم والتي
اعتمد عليها العرب في تكوين شخصية حضارية لهم ، حفظت
مصر في هذه الهزات تراث العرب الأدبي والفني . .

* * *

وكما يرقص الطير مذبوحا من الألم ، انطلقت الاغاني في بلاهة،
تأخذ دورا في (الزفة الكدابة) . ولا مانع عندها من التمسح بالفلاح
والعامل . وما كسب الفلاح والعامل كسبا جديرا وخاصة الفلاح ،
فالاصلاح الذي لا ينبع من نفوس أصحابه وبيئتهم . . . من
داخلهم ، لا يؤمنون به ولا يتعمقونه لانه من خارجهم لم يغير
نوعيتهم . . . والدواء عادة ، حتى ولو حمل
الشفاء كرية أو ثقل على الاقل . . . وقد فصل هذا
طبيبنا أنور الملتى في بحثه القيم في مجلة (المجلة) التي اختفت
فيما اختفى من قيم في حياتنا . . . ويزيد رجال الاقتصاد أن ما أخذه
الفلاح باليمين من الاصلاح الزراعي بددته باليسار مجموعة
النعاونيات الزراعية .

ولم تقصر السينما في هذا المضمار فتخصص بعض مؤلفيها في
تسجيل الأيجاد في أفلام يعاد عرضها مرارا كأنها مقرررة
على النظارة .

أما المسرح الذي نهض في الثلاثينات والاربعينات نهضة كبيرة
ونشط أيضا في الخمسينات فانه بعد نكبة الأمة العربية سنة ١٩٦٧
أخذ طابعا سياسيا حتى أنه أشرك الجماهير في العرض باعتبارها
متضامنة في المسؤولية عما يحدث . أو تأكيدا لمسئوليتها خارج
المسرح بعد أن ينتهى العرض .

وانينق عن نكبة عام ١٩٦٧ ، المسرح الغاضب أو مسرح الغضب
الذى دعت اليه مسرحية الكاتب السورى سعد الله ونوس :
(حفلة سهر من أجل حزيان) .



منذ اعتنقت مصر الاسلام وهى حصنه الحصين ولكن الاسلام
فى مصر فى هذه الحقبة استحدثت باسمه هيئات كما
كان المماليك يكثر من بناء المساجد تكسيرا عن خطاياهم أو
تغطية لها وما كان المسجد مبنى ولكنه معنى ونقاء ينهى عن
الفحشاء والمنكر .

وصدرت عدة كتب دينية كتبها أساتذة مختصون فى الدين .
ولكن التخصص المدرسى غير التحليق الثقافى فالعقاد حين كتب عن
الاسلام كانت كتبه (التفكير فريضة اسلامية) (حجج الاسلام
واباطيل خصومه) ، (ما يقال عن الاسلام) ، العبقريات خاصة
(عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) . ناقش العقاد
الغرب ومستشرقيه وناقش القضايا التى يظن بها
الضعف ، فى مواجهة يحجم عنها الكاتبون ، فكان التصدى
طريق الانعناع .. وهو طراز لم تستشرف اليه او لم تقو عليه
الكتب الحكومية الاسلامية فلم تعمل عملها فى اندونيسيا التى
استشرى فيها التبشير وهى منطقة من مناطق الاسلام بتعدادها
الكثيف .

كيف تدهور كل شىء .. ؟ أى حفرة تردى فيها كل نفيس فى حياتنا؟
وضعت مراكز القوى نظرية اهل الثقة واهل الخبرة التى تقسم الشعب
الى مجللين ومتهمين .. وهذه النظرية تطرد نظرية الرجل المناسب
فى المكان المناسب . . او تحرفها فتكسر الميم وتكسر معها مبادئ
الحق والعدل والكفاءة فاذا بأهل الثقة ، فى أحسن حالاتهم ،
حراس على المواقع التى وضعوا فيها لايعرفون مخبرها أو
جواهرها . ولكى يغطوا جهلهم ، يدعون العلم أو الاهمية !

اهم من اشخاصهم. وما فعلوا هل المال يزيد بالجراحة
أم العمل ؟ قصارى الحراسة أن تجده ولكن العمل بحييه والخبره
تبيته . . وهو ما حدث لنا فالمال العام أما نهب أو تجهد
وتجمدت معه الافكار والرجال الخبراء ، لان الخبرة متهمه وغير
موثوق بها وغير مرغوبه .

• وفي غيبة القانون وخيبة الصحافة ، كل شيء ضاع •

ليس معنى هذا أن اهل الخبرة جميعا اظهروا ابرار . . بل من
اهل الثقة من أغنى في موقعه ما لا يغنى غناه ، أحد من
قبل وخاصة أصحاب الثقافات ممن اجتمع لهم
مع الحزم ، العلم وسعة الأفق ولكن ليس على الشاذ قياس .
فالناطق السليم يقول أن البلد للجميع ، وأن الثروة البشرية الممثلة
في الكفاءات أساس نهضة الامم . . . وأن التقدم لا يتحقق الا
إذا كان كل شيء محسوباً . فالانسان الصحيح في المكان الصحيح .
وللقانون وحده أن يحاسب المخطيء وحساباً حسيراً رادعاً له
ولغيره . . . وفي حرية الصحافة ضهان يكشف الانحرافات . . .

ولا ادل على هذا من ٦ أكتوبر . . هل كان يستطيع مدنى أن
يخطط للمعركة ويديرها ؟

هل يستطيع مهندس أن يجرى عملية جراحية ؟

لكل مكان انسان لا يملؤه غيره .

وفي اثناء هذه المحن استردت القناة وازدهانا يومئذ الفرح
والزهو . وكان هتافنا طوعياً هذه المرة . ولعلها المرة الواحدة
والوحيدة التي برى فيها قولتنا من الخوف . أو النفاق . ولكن
فرحتنا لم تدم طويلاً إذ تبينا أن القناة بدخلها الكبير لم تصب في ريفنا
الذى حفرها وسقاها بدمه ، وإنما صبت في جبال

اليمن الوعرة التى أخذت مع المال ، الرجال ... بعد
ان البنا علينا الشرق والغرب . وصورت النكتة المصرية بذكائها
المشهود ، الجولة بهرارة تقطر دما حين أطلقت بدورها هذا الشعار
(مصر . يبن . كوبا) وكانت مصر منكوبة بحق . كانت منكوبة
بالفشل والهزائم ولم ينتصر (أسما) الا المؤسسات والشركات
التى أطلق عليها (النصر) .

لم يفكر أحد فى الانتفاع بدخل القناة فى تعمير الضفة الشرقية
للقناة .. فى تعمير سيناء مصدر الخطر ودرع الامان فى الوقت نفسه ..
ولو عمرت سيناء (بفيض) و (فضل) الكثافة السكانية فى
الوادى ، وقام عليها البيت ، وفيها الولد ، لعز التفریط فيها
لان الدفاع عنها عندئذ دفاع عن العرض والارض ، والرزق
والحياة .. لو عمرت سيناء لما اجتروا العدو على اجتياحها ...
واكتساحها مرتين فى هذه الحقبة المباركة .

لو كان عندنا مراكز دراسة نصرف عليها لعرفنا ان انجلترا عملت
طويلا على فصل سيناء عن مصر بالايعاء وبالفعل منذ عينت عليها
(براملى) حاكما عسكريا مما يدل على خطر سيناء بالنسبة الى
مصر ، وعلى أن سيناء مطمح ومطعم للآخرين . ولكننا ضيعنا سيناء فى
الشمال بالحرب ، كما ضيعنا (جبل علبه) فى الجنوب بالسلم
والصمت ... وجبل علبه — افتعلت انجلترا اقتطاع منطقة جبل
علبه اداريا من مصر سنة ١٩٠٢ — الذى لا يذكر فى كتبنا أو
مدارسنا أو مجالسنا أو صحفنا منطقة اكبر مساحة من سيناء وأغنى
موارد طبيعية . وهى الآن تمثل الاعراف بيننا وبين السودان الشقيق .
وطالما نبه العلماء والدارسون منا الى وجوب العناية القومية
والاجتماعية بهذه المنطقة فلم يسمع لهم أحدا ... والعلم ليست
له دولة بل كان تابعا للدولة وأجيرا اذا أراد ... شأنه شأن
القانون الذى أمر بتبتيعه للدولة فلما أبى لى رجل القانون

في مجلس الدولة ما لاقاه وهو الرجل الذى وضع الدساتير في البلاد
العربية شرفا وتشريفا لمصر ...

ما الذى شل السنتنا وعقولنا معا ؟

هل هو الجهاز الرهيب الذى كان دولة وحده ، أعلن جمال
عبد الناصر سقوطها بعد الفكسة ؟

هل هو التعذيب والتشكيل ، الذى كان يمارسه هذا الجهاز .

هل هو جهاز الشعارات الرنانة والطنائنة وراء مراكز القوى
بأخذ علينا شعارنا وأذننا وعيننا وإماكن الجد واللهو على
السواء ؟

هل هو النشيد المصرى والأغنية المصرية التى دخلت حلقة
الذكر ؟

هل هو كل هؤلاء ؟

اجتمع علينا من مراكز القوى القمع والتضليل والزمر والطبل بل
الرقص أيضا .

كل شيء ضاع .. كل ما بداخل الانسان المصرى من كرامة
وقيم ومبادئ واباء ... ضاع يوم فرضت كما يقول توفيق الحكيم
(الحراسة على مخ الانسان) .

ولكن توفيق الحكيم ما باله لم يقل هذا من قبل ؟ ان ندمه
اليوم ذكاء خبيث أو خبث ذكى .. ما جدوى الاعتراف بالخطأ
في وقت ليس الشعب فيه بحاجة الى الاعتراف بعد ان سقطت
الأتعة وظهرت الحقيقة ...

انه مجرد تخفيف للحساب هو قناع من نوع ارقى يليق
بأصحاب « الأفكار » .

لقد كتب نجيب محفوظ الكثير

وتوفيق الحكيم لم يكن مسحورا أو مخدوعا أو (فاقد الوعي) مع الفاندين كما يقول بدليل مسرحيته (السلطان الحائر) . و (بنك القلق) اللتين لم يثر اليهما عاما فيما أحسب وهما خير من التعلل بالتخدير والتسحير . ولكن (الحكيم) يغير مسكة (العصا) فيقبض عليها بحكمة من نوع آخر ، من (النص) لانه كما قال ، بعد ان حوم كثيرا ، من جيل قيدت حريته وتحرره (روابط متصلة بهذا النظام) •

النظام الذى اجتمعت علينا فيه من مراكز القوى المناهج والاذاعة والصحافة والوسائل الاعلامية لتصبنا في قوالب مرسومة لنا ليفدو الانسان المصرى انسانا نمطينا كاليونفورم .. انسانا متقيدا بالخشدية ... مسلوب الحرية ... انسان حشد والحشد دهماء منظمة تسوق الى الخراب اذا قادها مثل هؤلاء .

ان الفرد فى حشد كبير ينحط خلقيا واجتماعيا كما يفعل الأمريكان عندما يجتمعون لتعذيب الزوج فيساتون من ضروب الوحشية ما لا يتردى فيه انسان وحده ...

سئل يونج عن سر أزمة أوربا فقال فى كتابه :
The Undiscovered Self

هو ضياع قيمة الفرد •

الانسان الحقيقى ضاع وسط الانظمة ، الظاهرية والسلطة المهيمنة . مثل هذا الانسان من السهل أن ينقلب الى النقيض لانه أصلا لم يحقق ذاته ولم يحقق لها استقلالا خاصا فسرعان ما يتعرض لتشقق شخصى وثقافى ... وهو ما حدث للمثقفين المصريين على أيدي مراكز القوى •

غباء أن تفبرك العقول والأفكار ... وغباء أن تسوى بين العقول
وقد خلقها الله متفاوتة متباينة الحظوظ من الذكاء ...

أن تفبرك العقول كفر بالدين الذى كرم الانسان ودعاه الى
التفكير واعترف بارادته يوم هداه (النجدين) وهما طريق الخير
وطريق الشر ... **كفر بكل القيم** ...

لم يعد العالم مهددا بالكوارث الطبيعية أو الأوبئة ولكن
بالتغيرات السيكولوجية كما يقول يونج ... أن أى اختلال يصيب
التوازن فى رأس حاكم من الحكام يلقى العالم فى بحر من الدماء .

ويقول هربرت ريد فى كتابه « فلسفة الفوضوية » (من
الصعب ألا تفسد السلطة . هنا تحتاج الى ضوابط نفسية
كبيرة) وهنا نتذكر قوله تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه
استغنى) والغنى ألوان : النفوذ غنى والسلطة غنى .

أما الضوابط النفسية فتعين عليها أمة رشيدة لا عاطفية .
أمة تنتظر الأعمال لتحكم عليها قبل أن تغدق الثناء بغير حدود ..
انه خطأنا .. !

لقد أبعدت مراكز القوى الانسان المصرى من الصورة فتمزق نفسيا
وثقافيا وكاد ينسحق لولا بقية من ايمان حفظت عليه ذاته .. أن
الطريق الى الله صلاة وصبر وعمل ذلك الميتمين الذى لا يباع فى
الصيدليات ولكن يهبه الله من يشاء من عباده .

ان الحركات الجماهيرية تنزلق فى وهم الاعداد الجماهيرية
ونسط صخب الاغلبية يمكن اختطاف الأمانى بالقوة .

كيف يصنع الديكتاتور .

الانسان الطل هو الذى يعتمد على الحزب أو الزعيم أو الحكومة ... ومن سنا يكره الممتازون التبعية من أى لون ...

أما رجل الحشد فيتوهم أو يوهم أو يشبه له ان القمة ممثلة فى الحزب أو الحكومة تحقق له كل شئ ... حالة وهبية أو الحلم الطفلى .. انه الارتداد الى جنة الرعاية الوالدية ... وعندما يسود الوهم بأن الحكومة على كل شئ قديرة ، يكون الطريق الى الاستبداد ممهدا ، وهنا يكون الاستبداد الفردى لاحقا بالضرورة والمنطق

لقد كان الناس فى العصور الوسطى يرون الانسان عالما صغيرا (ميكروكوزم) . microcosm وهى نظرة سليمة تربط الانسان ببيئته ، ودينه ... ولا يمكن لاحد ان يسلب انسانا ، الله ، ومن حاولوا هذا فى العصر الحديث أعطوه لها آخر .

وحين يتعد الانسان عن الدين يحدث له اضطراب عصابى .
وحين تتوقف المحبة ويحل الشك توجد القوة والعنف والرعب وزوار الفجر .

ان السعادة والرضا وتوازن النفس وثناء الحياة ، معان لا يمكن أن تخبرها الدولة بل يخبرها الفرد ...

دولة مراكز القوى جهاز يجمع الفرد فان أحسنت اليه فغالبها ،
تعمل على تعضيد أو هام الفرد لانها لا تبني نظرياتها على فهم وتفهيم نفس
الفرد فهي أصلا لم تقترب منه ولم تدرس احتياجاته الحقيقية ...

• انها تعرف احتياجاتها هي لاستبقاء السلطة .

والمجتمع الذى يضع فيه الفرد مجتمع متخلف
ولو ملك المال والنفوذ وأحدث الوسائل . ومن هنا أدان
« برناردشو » الحضارة الغربية فى كتابه (دليل المرأة الذكية) ،
وأدان « ديوى » ، أمريكا ، فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة
individualism old and new.

لقد حاولت أوروبا وأمريكا اللتان نقلدهما سحب السجادة من
تحت قدمى الفرد بالآلة ، والنمطية ، والحركات الحشدية
اجتماعية وسياسية . الإنسان الغربى انسان احصائى ...
انسان متوسطات فذكاؤه من خلال متوسط الذكاء لمجموعته ومثل
هذا يمكن أن يقال عن سائر قدراته . وهل يميز انسانا عن
انسان الا صفة فريدة فيه ؟

حتى الأخلاق حين ضعف سلطان الدين غدت أمورا تواضعية
مادام الفرد لا يحس بمسئوليته أمام الله . ذلك الشعور الذى
يرتفع على القانون . فقد يستطيع الخاطيء أن يهرب أو يتهرب
من القانون أو يفلت من العقاب ولكن صاحب الحس الدينى ،
السلطة الرادعة فى داخله .

والدين ليس المبادئ الاخلاقية مهما كانت رفيعة ، وليس
العقائد مهما كانت مستقيمة .

ليس هذه أو تلك فكلهما لا يشكل الاساس لحرية الفرد من
اسر (الحشدية) التى هى المجتمع أو الكتلة ...

والدين الذى أعنيه غير العقيدة . فالعقيدة كما يقول يونج اعتراف بالايمان، ولكن الدين علاقة الفرد بالله أو علاقة الفرد بالتحسّر .

ان الولاء لعقيدة معينة ليس مسألة دينية ولكنها فى الغالب مسألة اجتماعية فلا مفعول له ولا قدرة على منح الفرد أساسه يستند اليه ...

هذا حين يتغيا الدين المحافظة على التوازن النفسى .. ان النفس الشعورية فى الانسان يمكن فى أى وقت أن تعوق وظائفها بوساطة أحداث من الداخل والخارج لا يمكن التحكم فيها .. لهذا يلجأ الانسان فى القرارات الخطيرة الى القوة العليا تبركا بها ... المؤمن عنده (ارتكاز) .

ان النقد الذى يسمى نفسه مستنيرا حين يخضع الدين لنظريات عقلانية ، وتصوير ، محتواه ، مستحيلا ، يخطئ مثل هذا النقد الهدف والرمى فلا يصيب الدين ولكن قصاره ان ينتهى الى دين آخر هو تاليه الدولة أو الديكتاتور .

ان الدين وظيفة طبيعية وجدت منذ البداية لا يمكن القضاء عليها بالنقد العقلى الذى يعرض المعتقدات الدينية على المنطق الذى يفضى الى السخرية منها .

سحق الفرد أو تضييعه لا يفتقر تحت أى اسم من الاسماء .
فالكنيسة نفسها حين ربطت الفرد بها فى الغرب لم تفلح . ولهذا خرجت الحروب الدموية من القارة التى تدين بالمسيحية التى تقول ان الله محبة .

الكنيسة فى الغرب حين ربطت الفرد بها أفقدته الشعور بالمسئولية ... وكان الأخلق بها أن تشعره بقيمته ... بقيمة الانسان الذى كرمه الله وأكرمه بالعقل وقدرة التفكير التى

يمتاز بها الإنسان ، ولو أخطأ ، على (الملاك) أى الملك . فالقدرة على الخطأ ميزة لا عيب جين تعنى هذه القدرة ، التجريب . . . المحاولة والاجتهاد . . السعى . ولهذا يقول رسول الاسلام :

(من أخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران)

أما الذى يعيش فى القبة السماوية بعيدا مع النجوم بعيدا عن الاغراء والاغواء فان من السعة الاتجد .

ان الرعب الذى أوتعت فيه الديكتاتورية ، الانسان ، هو قمة التظالم التى اقتربها الغرب . فحمايات الدم التى أغرقت الدول المسيحية فيها بعضها ، بعضا ، والجرائم التى ارتكبتها المواطن الاوربي ضد الشعوب الفسراء اثناء استعمارها لها ، حلقة متصلة . . .

ومثل هذا الرعب يشكل فى بلدنا احيانا سحابة قاتمة فوق رعوسنا . وقد حق للرعب والخوف والقهر الذى كان ، ان يحل محله . رابطة من النوع الوجدانى تعود معها بيننا الصلات الانسانية التى وهت وكاد يدمرها الشك والتوجس مبتنا فى حالة تقاعس اخلاقى شامت معه الوجوه والنفوس وتاهت المعالم والصفات . . . مع ان الانسان لا يكون انسانا الا اذا كان له موقف تجاه النفس وتجاه الآخرين .

انسان ثراؤه ليس خارجيا واردا من ثقافة مكتسبة او مذهب آخرين ، ولكن ثراؤه داخلى من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها بالحرية . . . انسان هو نفسه موضوع وشخصية .

اننا اذا اعتبرنا الثقافة نمو النفس فان هذا النمو لا يتحقق الا فى جو من الحرية يتيح للنفس الانسانية الراقية ان تعطى ما لديها من الادراكات والمنجزات والطرح . فلا يهيج ولا (يهيج) مثقفونا الى الخارج فارين او يائسين لان المحيطين بهم عندهم نزوع (نطوحى) ضد المثقفين .

لقد اعتبر (كارليل): بثقافته، «نابليون» انسانا متوسطا ولكن الفتره
التي نتحدث عنها فترة نابليونية. كم من واحد فيها (عامل نابليون)
ومن الأسف أن كثيرين منا صدقوا كثيرين منهم فعبادة الاسم في
الشرق رسم من رسومه كذلك التركى الذى أمضى الليل كله وهو
يستمع الى صاحب الريابة وفي نهاية الليل قال له :

— اسمع قول حظرتكم شوية أبو زيد الهلالي علشان حظرتنا يكون
مبسوط .

مرد عازف الريابة :

— كل ما سمعته كان عن (أبو زيد الهلالي) .

فتهلل وجه التركى وقال :

— لازم أنا كنت مبسوط



وبعد هذا كله طار صوابنا عندما وقع العدوان . ان العدوان
الحقيقى وقع قبله على العقول .. على القيم . فالتحرير الثقافى
.. تحرير الكيان المصرى البشرى هو أساس كل تحرير ...

اننا ، باللاوعى الذى نعيش فيه فى حالة اغماء قومى ، ولا
صحوة لنا الا أن نبحث عن المفتاح الذى أضاعناه .. أعيدوا
تقييم وتقييم حياتنا وسلوكنا وتعلينا ... أعيدوا كتابة التاريخ .

محكمة التاريخ

هل هناك مسئول واحد عن الصدع الذي حدث في الشخصية المصرية ؟

المدرسة المصرية آفة من آفات الشخصية المصرية .
والمطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية .

والمرأة المصرية مسئولة بالدرجة الأولى عما نحن فيه . انها مسئولة حتى عن أخطاء الرجل المصرى لأنه كان ابنها يوما ما فلم تشكله الا على هذه الصورة .

كيف تعلم المدرسة المصرية اليوم ، التاريخ ؟ ماذا تقول ؟ مدائح ملوكية كالأدب العربى هل نعرف او يعرف أولادنا شيئا عن دور الشعب فى صنع التاريخ ؟ أعفيكم من الجواب فانى أعرفه . . . لقد حدثونا وأفاضوا عن أبطال الحروب أى الذين قتلوا أكثر . . . ، والملوك الكرام الذين رعوا العلم والعلماء ... رعاية العلم هؤلاء صادروا أيضا الراى الحر ، ورموا أصحابه فى غيابات السجون . . . بل حرقوا ترى باكملها لتنزل على رأيهم .

لا تأمنوا ألقاب التاريخ فكم من مأمون فيه غير مأمون . . .

حتى الذين تحدثوا عنهم من السادة والقادة لم يستوفوا سيرتهم
عن جهل أو عن علم ... من يدري . ان كثيرين من هؤلاء كانوا
أضعف من ذبابة على الرغم من قوتهم الظاهرة وسطوتهم
الكاسرة ... ولعلهم في ضعفهم وراء الكواليس ، أقرب الى
القلب الانساني منهم على المسرح في أزياء التمثيل الملوكية أو
العسكرية أو السياسية .

من الناس من يحارب الدجالين في حياة المجتمع ثم يشيع الدجل
في التاريخ فيزيفون نسب الشعوب تارة ، وطورا يلبسون
الاغتصاب ثوب الشرعية فيسمون الغزو تمدينا ، والاستخرا ب
استعمارا وطمس الشخصية تطويرا ... الخ الأسماء الملفوفة
أو المعكوفة ...

من المؤرخين مغرضون تملى عليه أهواؤهم ولم ينبج من الغرض
هيرو دوت نفسه أبو التاريخ كما يقولون . والا فهل من الصدق
قوله انه رأى في مصر النساء تقضى حاجتها واقفة بينما الرجال
يقضون الحاجة وهم قعود ؟ وهل من الصدق ما قاله وشايعه فيه
بتلر ، وبلوتازك عن عروس النيل التي زعموا ان المصريين يلتقونها
في النهر ليفيض ؟ بل قال به ابن كثير في تفسيره ولو انه رواها
بسند عن مجهول كما قال به في تاريخه ابن عبد الحكم ؟

لقد اخترت هذه الأمثلة لأنها قريبة منا .

وهناك مؤرخون يجيدون ركوب ظهر الموجة فيكتبون ما يرضى
الحاكم وان أخلق الحقيقة فكل من تولى قبله شر كله حين يستأثر
عهده بالخير كله !

ولأمر ما فضل أرسطو ، الشعر ، على التاريخ ... ان كذبه
التخيلي ، هو على الأقل رؤية بعيدة ولا يقصد بها التحريف
والتحيف .

ولأننا نلحق تاريخ مصر ولا نقرؤه ، أضعنا المفتاح .

اننا نركز كثيرا على الهرم وهو منجز حضارى رائع ولكن تحويل المستنقعات او أحراش البردى الى جنة خضراء منجز حضارى أيضا لا يقل عن بناء الأهرام فى دلالتة على طاقة القدرة والارادة والبناء.

حقا ان الهرم الكبير ليس بناء فحسب ولكن وراءه ، الشخصية الماردة التى أرادت فحقت بل قبله اعداد طويل قامت به شخصية « سنفر » الذى اعد لمجد بناء الأهرام من بنيه .. عمل موظفين من الدرجة الأولى .. والمتصود بالموظف هنا قدرة التنظيم .. عمل الفنيين الحقيقيين ... ثم اننا متعجلون نقف مبهورين أمام الهرم الأكبر وكان يجب أن نبداً بهرمى سنفر فى دهشور ثم نترج الى الهرم الأكبر لنعيش التجربة ، ونحس المثابرة والاصرار ومحاولة التجويد ...

ومع هذا فالأهرام ليس منجز مصر الوحيد فاللغة ، منجز حضارى ، كالمهارة ، رائع . والادارة منجز حضارى بارع . والرى منجز حضارى كبير لأن الادارة التى ضبقت النهر هى سر من أسرار مصر . والزراعة منجز حضارى بعيد الاثر فهى دموة الى الحياة بينما الصيد ازهاق حياة . لقد زرعت مصر الوادى نشرت فيه النبات ، وزرعت الفكر حين قالت بـ « معات » وزرعت الحجر مشكلته فنونا .

الزراعة تثقيف للأرض فالمصريون حين حضروا الأرض للزراعة ، حضروها أيضا أى مدنها ...

لقد علمونا مثلا أن (مينا) أول ملوك مصر القديمة . واقتول ان المدرسين وحدهم هم الذين يبدعون التاريخ المصرى بمينا ... ولكن قبل مينا نشأت على هذا المكان ملحمة تاريخية من الجهاد

الحضارى ، رائعة .. ان السعى الحضارى المحسوب لمجر
ار الذى يجب أن يحسب لها يبلغ عشرات الألوف من السنين .

لقد وجد مصر قبل مينا ، أوزوريس وحورس ضد التفرقة
والجذب أى سيت .

لقد تضافر النيل والانسان المصرى على اخراج هذه المحمة ..
هناك دالات أنهار ولكن الأنهار ودالاتها فى غير مصر ، لم تخلق
الحضارة بمستوى هذا الخلق .. وأهم من هذا لم تتواصل فيها
الحضارة بغير انقطاع كما حدث فى مصر ...

لقد عاش الانسان المصرى الفى سنة فى سعى حضارى قبل
الأسرات والتكوين السياسى حيث حضر النيل المسرح للحضارة ..
وومى الانسان المصرى الدرس ومضمونه قيمتان كبيرتان :

✱ الكل فى واحد .

✱ الممهل أى التكاثف لدرء خطر الفيضان .

هنا فى هذا المكان جمع الانسان المصرى نفسه فى وحدة حضارية
مستمعا الى نداء النيل الذى جمع نفسه من أنهار ...

علمونا ان الطبيعة فى مصر رتيبة ... وجنة مصر يصفها بالرتابة
من لم يستدق حسه . فكل بقعة من الأرض المصرية « روح » يشعر
بهذا الحضور ، الزالف الى سقارة

للهرم روح ، وليت رهينة أى منف روح وكيان مميز ...
للكنائس روح وللمساجد روح ... للقاهرة روح ، وللمعيد روح ،
ولدن الشواطىء روح ... والفروق بين الأمكنة هو باب تمييز
الفروق بين الأعمال المختلفة .

علمونا أن أسلافنا وثنيون ومعظم الذين تكلموا عن الديانة

المصرية القديمة شغلهم عنصر الخرافة فيها لا الجوهر .. ولهذا،
ظلت الديانة المصرية القديمة فيها منطقة يلفها الغموض والتحريف.
منطقة misunderstanding

لقد عرفت مصر القيم يوم وضعت كلمة (معات) وحقتها ...
يوم وضعت الأخلاقيات .. وطرحها الرائع في هذا المجال لم يزد
لا حق عليه شيئا جديدا ...

ان الديانة المصرية القديمة يظلمها من يسميها (وثنية) ويحكم
عليها بعد خمود فورتها الحقيقية حين عاشوا ادراك وجود الله
من وراء المعبود المحسوس .

ولأمر ما وصفوا « منفتحاح » اله الفن المصرى فى نحتة بانه
يشكل أجسادا طاهرة تقبل الالهة أن تحل فيها ...

ان تواصل الحضارة بغير انقطاع دليل بر وخير ومجتمع متقدم
لا وثنى ... مجتمع مستقر وقرير . ولهذا جسد الفن المصرى
(السكينة) ... انه فن النفس مطمئنة لأنها فى هذا الكون تحس
طمأنينة الدار الآمنة ... طمأنينة الوطن الثوى وحماء .

لقد حققت مصر السكينة ثلاث مرات وبصور متعددة ورائعة :
فى العصر القديم .. ثم فى المسيحية .. ثم فى الاسلام .

ولم يحقق بلد السكينة فى انجازاته بالكيف والكم الذى حققته
مصر ... ولا يستثنى من هذا الهند والصين على عظم وضخامة
ما حققته .. ومن هنا يجب أن يشع كل شئ مصرى ، السكينة،
من قرار سحيق .

ان مصر بلد أول كتاب دينى كتبه الانسان .

انها بلد الايمان على الرغم من انها غيرت شكل دينها عدة مرات

ولكن جوهر الدين في قلبها واحسد عبر الإخناتونية والمسيحية
والاسلام ونعو « نوتيد » يتنزل في وحدة الله ووحدة الوجود .

ان الوجدان الدينى بالنسبة لمصر (القيمة) كالنيل بالنسبة
لمصر (الأرض) .

ان من ينظر الى ابي الهول يحس الحضور المقدس .. اوجدان
الدينى يمثله أبو الهول في الغرب وجامع الساطان حسن في الشرق .
والمصرى يحتوى نيتته حسدا دينيا يتف وراء نظرتة الى الحياء
والاشياء سواء في هذا اخناتون وسانت أنطونيوس وابن الفارض .
ان سانت أنطونى يمثل روح المنية بلا حجر أو جدار ..

انوجدان الدينى يدرجته من تقرب من روح مصر ، في اديانة
المصرية القديمة وفي المجرى الانسانى ... واستنوب المصرى في
الجالين يعكس هذا الحس الدينى كما يعكس حبه العابد للطبيعة
المصرية .

اندين في مصر وعى بالمهندس تم السال به ووصل .

ان ايمان مصر المبكر بالدين ممثلا في التوحيد أو حتى في عبادة
من العبادات كالشمس أو النيل، طبعها على الحساسية واستشعار
الواجب والايمان بالخير والفضيلة والجزاء والعقاب والثواب
والرضا والرحمة والعدل ...

انها باد (معات) رمز العدالة والخير والحق .

مصر في طبعها من الودادة والسماحة الرواح ما جعلها تجمع
بين « ايزيس » و « سيت » بعد كل الذى فعله في اوزوريس !!
ونبكى على الحاكم الظالم وهى التى شقيت به،لأنه مات! وهى
بعاطفيتها يشجيتها الفراق ، وتبكيها المواقف يضعف فيهنسا الانسان
ولو كان اصحابها الأعداء لا الاصدقاء .

هذه مصر التى لا يعرفها أهلها حتى عُدا البيت المبرى فى
القرن التاسع عشر يطلق على الشىء الذى يطلو فى عينه (عصلى)
نسبة الى الأتراك العثمانيين . وفى القرن العشرين ، الحلو هو
(الأفرنكة) ثم صار (مستورد) أما « الوحش » فهو
« بلدى » ...

أين نحن من مصر وان دعونا أنفسنا ، مصريين ؟

اننا كما قلت فى حالة اغماء قومى لو صح هذا التعبير ولا بد ..
لكى نفيق منه ، من عودة الى الماضى لا للتشدد الأجوف به ،
ولكن لاستلهامه واستكماله والا غدونا أقزاما كالاشجار التى تقص
جذورها .. ففى اليابان عندما يريدون (قرمية) شجرة يقصون
جذورها .

اسمع من يقول من أين نبدا ... رأى ، المتحف المصرى نقطة
انطلاق صحيحة لبث الوعى .. وعى من طراز جديد فى شبة
الوعى واللاوعى الموجود حاليا . وقيمة المتحف المصرى فى المدى
التاريخى الطويل مما لا يعطى عطائه أى عمل فنى واحد مهما بلغ
تمامه .

فى المتحف يستطيع المصرى أن يرى تاريخ مصر كيف ينسج
خيلا خيلا ...

فى المتحف حيث تبدأ الحضارة المصرية من قاعة العصر الحجرى
لتنتهى الى ذروة كبيرة من ذرواتها حيث يقوم تمثال امنوفيس
الثالث ، والد اخناتون ، والملكة تى زوجته وأولادهما أى عصر
الامبراطورية ... وعز الامبراطورية حيث كانت مصر ترفل فى
النمبة وتشرق بالثقافة وتهنأ بالسلام فى هدنة من الحروب .

ان التاريخ المصرى جزء من الوعى المصرى ..

لقد علمونا أو لفنونا بمعنى أصح أن الفلسفة من صنع يونان ..
وإن مصر ليس لها فلسفة .

نقد تفلسفت مصر حين جعلت الفن للحياة وهذا خلاف نظرية
الفن للفن .

الفن للفن سوءة وليس حسنة لأنه يتف عند هذه الغاية ..
ولكن الفن للحياة معناه إثراء معنى الوجود الانساني .. وفي
تواصل واستمرار .

رمزت مصر بالبقرة الى السماء بل الى الطبيعة لان البقرة
عندها ودادة ورقى .. وداعة وحنان .. أمومة ورعاية وعطاء ..

لقد فهمت مصر (الرضاعة) فهي عميقا ... انها اتحاد الأم
بالوليد ولهذا أشاع قدماء المصريين في فنهم (الرضاعة) فالملك
أمنوفيس يرضع من الآلهة حتحور ، وحورس يرضع من البقرة
التي هي رمز الطبيعة الأم .. فهو يتحد بالكون .

ان الآتوتة في الحضارة المصرية صفة كونية بما هي رمز التلقى
والاستنبات والعطاء .

هذه هي فلسفة مصر .. فلسفتها غير المكتوبة .

لقد رسمت مصر القديمة البقرة شجرة . والشجرة لها ثدى
والانسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان ... لم يكن هذا
عبثا من الفنان المصرى بل فلسفة كبيرة ... انه يرمز الى وحدة
الكون في غلاف من الرحمة التي وسعت كل شيء .. فالشجرة
رمز عالم النبات والبقرة رمز عالم الحيوان ..

انها رهانة وجدان مصر التي فطنت من آلاف السنين الى ما يسميه
الانجليز اليوم : Unitive knowledge

وفي التصرف الاسلامى قصة تقول أن المريد طرق باب الحبيب
فسمع السؤال : من ؟ فقال : أنا، فلم يفتح الباب فاعرف المريد ..
وراجع نفسه ثم عاد مرة أخرى وطرق الباب .

— من ؟

— قال المريد : أنت

وهنا فقط فتح الباب .

لم يكن الخيال عند مصر شحلات سريلية بل كان خيالها عين
داخلية بصيرة ترى ما لا يدركه البصر ... رؤيتها بعيدة ..
ديدة .. رؤية شفة مستشفة .

لقد احترمت مصر القديمة، الحيوان .. ولم تحترم مصر الحديثة،
الانسان .. لقد نجحت مصر في الكثرة عن كثرة الحيوان كما جاء من مجالي
القدسية في هذا الوجود ولكن الذين لم يروا في ديانة مصر الا الوثنية
انما نظروا اليها في عصور الضعف كما تنظر العين الى المصباح
الخابى الكابى لا ترى فيه الا (الهباب) أو (سماد فانوس) .
مصر عبدت الحيوان . نعم . لاحتساسها بروعة الخلق فيه فهو
جزء من الله بما هو مجلى من مجالى قدرته ...

الفرق بيننا وبينهم اننا نقرن (القرد) بالقرداتى . وهم كانوا
يقرنون القرد (بالحكمة) ، فكان (تحوت) اله الحكمة .

الحيوان هو الحياة .. والله يسبى الدار الشجرة (الحيوان)
كما اشترت ولكن مصر الحديثة هان عليها ، وفيها ، الانسان .

حتى الثعبان لم تنظر اليه مصر القديمة نظرة مسطحة بل رأت
فيه على شره الظاهر ، تعبيرا عن الوجود الجذرى، بتشكيل الجسم

في التفانمة مستديرة رهيبة تنمو منها الرقبة والرأس في ارتفاع ..
هذه الهيئة كالجزر والساق .

رأت مصر في الثعبان ، على شره الظاهر ، تعبيرا عن الحياة
انفتية القوية المثلثة البأس .. ولأمر ما سميت اللغة العربية أنثى
الثعبان (حية) ... من حروف الحياة .

لهذا شاع رسم الثعبان في الفن المصرى ... ان مصر القديمة
عندها أدراك رهيف بتيار الحياة السارى من النجوم الى أعماق
الأرض .. من كائنات الخير الى كائنات الشر ... عندها شعور
سيال الحياة الجارى .

هذه هى فلسفة مصر .

فلسفتها غير المكتوبة كما اثرت .

والرؤية المقدسة ، التى ترى ما وراء الشيء من خلاله كانت عند
مصر القديمة والصين وحدهما ... قد يقول قائل : والهند ؟
نأقول : لا . ان الهند فنها أدبى الطابع حتى المعبد عندها تركيبي
كالجملة المفردة . ولكن مصر والصين نفذتا الى أسرار الطبيعة
والمعنى البعيد .

يقول بوذا (في بداية الطريق — أى طريق المعرفة — كانت
الأزهار أزهارا ، والجبال جبالا ، والبقر بقرا .. يشير الى التلقين
الذى يلقنه الانسان فيكون قناعا يحجب عن العقل خوافى
الأشياء) ...

وفي منتصف الطريق غدت الأزهار وهى ليست أزهارا ولا الجبال
جبالا ، ولا البقر بقرا ... أى بالمعنى الحرفى لهذه المخلوقات .

وفي اللغة فرع يسمونه (علم المعانى) يهتم بأنواع الجمـلـ

وتقسيماتها وأغراضها في الخبر والانشاء مع أن اللغة ، أحيانا ،
تقف بين الإنسان والمعنى بدلا من أن توضحه . . وكذلك المعلم . .

فحين يقول أنجيل متى (طوبى للحناني لأنهم يتعززون) لا يقصد
الحزن بمعناه الكابى الذى يسترسل فيه أصحابه استجابة خفية
أو متصودة لظاهر هذه العبارة ، وإنما يقصد الحزن الشفاف الذى
يستشعره أصحابه من عمق احساسهم بعزلة الإنسان فيهم عن
الينبوع الأكبر .

هل يهم أراء المعنى العميق لهذه الكلمة أن نعرف ما إذا كانت
خبرا أو انشاء ؟

ونستطيع القول نفسه عن علم البيان وعن علم البديع أى عن
نروع البلاغة الثلاثة . . . ولو انفتحنا في تعليمنا اللغة وبلاغتها
على المفهوم الكبير للادب ، لتجاوز اهتمامنا الجزئيات الى الكليات . .
وتحررنا من الالفاظ الى القطع الأدبية والأساليب وموسيقى الروح
فى العمل الأدبى . . أى تجاوزنا التقسيم القديم برمته لنقف وثقة وتوعية
عند الفن ومدارسه وأساليبه . . وعند علم الجمال وعلم النفس . .
ما هو الوجدان وما هو الخيال وما هو الذوق . . وما هى
العواطف الإنسانية التى ينبع عادة ، منها الأدب كسائر الفنون . .
أن قيمة الأدب فى قدرة الكلمة التى هى الترجمة الكاملة عما فى
النفس . ولكن البلاغة القديمة صيرت الغلاف هو الفن حين حسبت
الكلمة برنينها وتقطيعاتها هي الفن ، وحين حسبت اللغة فى قاموس
معزلتها عن الحياة بنبضها .

وهكذا نحتاج الى عملية مراجعة كبيرة . . تصفية وتنقية لتراثنا
الفكرى والاجتماعى عملية مراجعة للتاريخ .

ومراجعة الحاضر أيضا بمواضعاته واعتباراته ومتناقضاته ،
والوان السلوك ، لكى نعيد كتابة التاريخ .

المفاهيم الثابتة وكثافة النسيج

١- الأهرام والشجرة

من الأفكار التي تدخل في مجموعة المفاهيم الثابتة بناء الهرم...
 الوطنيون المتحمسون يرون فيه صرحا للعمارة والعلم وبراعة
 الإدارة وخلود الفن... وآخرون وطنيون أيضا ولكن بطريقة
 أخرى... فهم أمعنا في النظرية الأخرى وولاء لها يرون فيه
 صرحا شاهدا على الاستعباد والسخرية، فشاكر كبير مثل عزيز أباظة
 يقول عنه في قصيدته (السد العالي) أن الهرم بنى بأيدي مسخرة
 موثقة ! وكان هناك منافسة بين الهرم والسد !

أما الفاتحون ممن تحكمهم عقدة المجد فهم يحسون ثقل الهرم
 على نفوسهم وقد حاول بعضهم فعلا هدمه فلم ينالوا منه غير
 ثمانية أمتار في قمته كانت كافية للدلالة على حقهم وبقي الهرم...
 وحاول بعض آخر من شدة احساسه بعجزه أمام الآثار المصرية
 أن يكسر أنف أبي الهول ليطامن من شموخه . وفي الأدب الشعبي
 يكتفى بالتعبير (يكسر أنفه) عن الازلال والتحقير . ولكن أبا الهول
 ظل رابضا ساخرا في كبرياء... ساخرا من كل دخيل . لم يخسر
 شيئا حين خسر الدخلاء كل شيء...

دعنا من الحائقين والمحبين على السواء . ما هو وجه الحقيقة
في هذا الموضوع ؟

هرمان يونكر يرى (أن ما فيه من اتقان لا يمكن أن يحققه
عامل مستعبد) وفي رأيه أن الاستمباد قد يستطيع أن يبني هربا
ولكنه لا يستطيع أن يحقق اتقانا أو يفجر فنا سعيدا في ، بغددة
النقش في الهرم وفي المعابد المصرية فيه فرحة وغنائية يندر
وجودها في من آخر . والمغبد بتقسيم الجدار والسقف صخرة
منحوتة بحساب نفس متبلورة غنية الأبعاد ..

من الهرم الكبير الى الخزنة الصغيرة .

من الايجاز الى الاسهاب .

أبعاد غنية من الوفرة وراءها خيال له رؤية داخلية تنفذ من
السطح الى العمق البعيد .

كان يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

(عندما أسمع دقة الأرميل حزينة أعرف أن هناك خطأ في
العمل !! وعندما أسمع سعيدها — من سعادة العامل — أعرف
أن العمل مضبوط ..)

جاء في « تاريخ العلم » لجورج سارتون (ان متوسط الخطأ
في طول جوانب الهرم لا يعدو ١ : ٤٠٠٠) وأن الخطأ في عمليات
التربيع التي استخدمت فيه لا يعدو كسرا عشريا يساوى دقيته
واثنتى عشر ثمانية ، وأن معدل الخطأ في ضبط ضلعيه الشرقي
والغربي لا يزيد عن ٣ : ١٠٠ ، وأن الفواصل بين الأحجار
لا تزيد عن نصف ملليمتر ٠٠٠٠)

هل كان عمال الهرم سعداء .. ؟

ترينة أخرى غير (الاتقان) يضيفها الكسندر شارف وهي حرص الحليقات الكانحة على أن تدفن على مقربة من هرم خوفو . بعد موته بأربعة قرون بما رسخ في نفوس الشعب من سيرته وآثره .

أى أن الأهرامات كانت مساجد ذلك العصر نباتها كانوا يتبركون بينها .

يقول الدكتور أحمد فخري (١) (ان دارس التاريخ يجب ألا ينسى أنه من الخطأ الكبير أن تحكم على ما حدث في العصور الماضية بأثرنا الحالية ، أو ما نؤمن به الآن من قيم أخلاقية أو بدنية . كان خوفو ملكا مقدسا ، ولا شك أن رعاياه كان يسعدهم أن يشتركوا في إقامة مبانيه الخالدة ، وقد شيدت في أيامه كثير من أباب العمارة والفن . فإذا كان هذا الشخص حقيقة ملكا ظالما بتسلطه عاتيا فمن غير المعقول أن يكون في استطاعته ترك البلاد في حالة اقتصادية مستقرة ساعدت ابنه (خفرع) على بناء الهرم الثاني ، وهو بناء يخاف مماثل هرم أبيه في عظمته . وإذا كان لأدعاءات أولئك الكتاب — المعارضين — أى نصيب من الحقيقة لاستحالة الاستمرار في حفظ الطقوس الدينية الخاصة بالملك (خوفو) قرونا كثيرة ، فلدينا من العصر البطلمي ، أى أكثر من ألفي سنة بعد موته ، آثار تشير إلى استمرار وجود كهنة «خوفو» حتى ذلك العهد) .

وعلى النقيض من هذا ، المؤرخ الشهير « بليزى » الذى لم يبر في الأهرامات إلا (استعراضا سخيفا ، لا فائدة منه ، لثروة الملوك) ذاته لم يلبث أن تساءل في دهشة لا تخفى : كيف استطاعوا رفع الأحجار إلى هذا الارتفاع العظيم ؟

(١) كتاب « الأهرامات المصرية » ص ١٥١ .

ويبدو أن « بليزى » لم يكن ، فى دهشته ، وحده فقد راع الهرم ، الكثيرين حتى لقد قدم بعض المغرمين بالاحصائيات ، بما يقول الدكتور فخرى ، كثيرا من العمليات الحسابية ليعقدوا مقارنات بين ارتفاعه وحجمه وبين الآثار الأخرى الشهيرة . واستنادا الى تلك التقديرات يقول عالم الآثار أن (مساحة الهرم الأكبر يمكن أن تتسع لمجلس البرلمان وكاتدرائية القديس بولس فى إنجلترا ، ويبقى منها بعد ذلك مكان كبير غير مشغول ، وهناك حصة أخرى يتضح منها أن المساحة التى تشغلها قاعدة الهرم تكفى لأن تشيد فيها كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقديس بطرس فى روما ، وكذلك كاتدرائية القديس بولس وديروستمنستر فى لندن .

ولو أننا قطعنا جميع أحجار الهرم الى أحجار صغيرة ، حجم كل منها قدم مربعة واحدة ، ووضعنا هذه الأحجار كل منها الى جانب الآخر لاصبح طولها ثلثى طول الكرة الأرضية عند خط الاستواء . وعندما كان نابليون فى مصر حسب أنه يوجد فى الهرم الأكبر ، وما جاوره من أهرامات ، أحجار تكفى لاقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسنمكه متر واحد ، وقد أيد أحد الرياضيين الذين كانوا بين علماء الحملة الفرنسية هذا التقدير الذى حسبته نابليون ٢ .

ويغيب فى البهر حقيقة أخرى رائعة وهى الطرق الصاعدة التى أكدت الاكتشافات الأثرية وجودها بالضرورة لبناء أى هرم . وتشيد الطرق الصاعدة عمل كبير ومجهود ضخم لا يكاد يقل عن تشييد الهرم نفسه) .

وغير الطرق الصاعدة يلحق بكل هرم معبد جنازى وهيك وسفن وسور خارجى مما يسمونه (المجموعة الهرمية) .

يقول الدكتور فخري مرة أخرى (ان العقل ليجار اذا ما عملنا التفكير في كمية العمل الذي يحتاج اليها مثل هذا البناء حتى لو استخدمنا المعدات الميكانيكية الحديثة ...)

ومع هذا لم يروا هم في هذا العمل شيئا محيرا بل شيئا يستحق الذكر !! فلم تشر نصوصهم المدونة في الأهرام أو غيرها الى عملية البناء ، أو وصفها !! ترى ما الذي يستحق الإشارة في نظرهم بله الحديث ؟!

جورج سارتون يقول في (تاريخ العلم) ، (انه مع التسليم بأن المهندسين المصريين أحلوا القوة البشرية محل القوة الآلية في تشييد هرمهم ، الا أن ذلك لا يفسر المعجزات الفنية والمعمارية التي نجحت في بنائه ، وانما يضيف اليها معجزات بشرية لا تقل عنها في صعوبة تفسيرها ، ذلك انه من السهل أن نتحدث عن حشد آلاف من الرجال ، وليكونوا ثلاثين ألف رجل مثلا ، للقيام معا بعمل شاق ، ولكن كيف تم تشغيلهم ؟ وكيف تم تدريب الفنيين منهم ؟ وكيف أمكن تحقيق التعاون بينهم ؟ وسواء تأتت القوة اللازمة لعمل من الأعمال عن محرك آلي أم عن كتلة بشرية ، فإن ترتيب هذا العمل وتنفيذه يتطلبان فكاء فاضحا للتنسيق بين العمل والعمال) .

ونعود الى النقطة الأولى هل تم البناء رهبة أو رغبة ؟ سخرة أو رضاء ؟

الدكتور عبد العزيز صالح أشار الى أن البناء كان يجري في مواسم الفيضان والى أن البناء كان يعفى منه طوائف المتعلمين من موظفي الحكومة وكهنة المعابد وربما كبار الشخصيات من أهل المدن والقرى أيضا أى كان قاصرا على اليدويين .

كما أشار الى أن العمال كانوا مسحرين بالعقيدة الدينية

فالمملك كان رأس الديانة ووريث الأرباب ، من الناحية النظرية على أقل تقدير بل كان يعتبر ملكا في الآخرة أيضا والجهد في سبيله شناعة .

كما أشار الى أن الأعمال خصصت لهم شئون الفلال وخصبت لهم مساكن لايوائهم ولم يتركوا في العراء وقدم لهم الطعام والشراب وتضمنت النصوص قول بعض من تولوا رئاسة الاتباع والصناع (لم أضرب انسانا وقع تحت يدي ولم أستعبد احدا في العمل) وقول أحد أثرياء الأسرة الرابعة :

(كل صانع عمل في مقبرتي أرضيته)

وقول آخر (أنفقت على قبري هذا من مناعى الحلال ولم يحدث اطلاقا أن اسببت متاع شخص ما)

يقول الدكتور عبد العزيز صالح : (ليس من شك في ان مثل هذه الأقوال لا تخلو من مبالغات يستقبل الشخص بها حياته الأخرى ، ولكن ليس من شك كذلك في انها لا تخلو من إشارات صدق . والواقع انه اذا كان لكل طائفة من الحكام آفة ، وكان من آفة حديم بلاد النهرين الاندمين حب البطش وسفك الدماء والنهم الى الجبروت ، وكان من أمر الحكام الرومان الأقدمين مثل أمرهم ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى بذل جانب كبير من موارد دولهم وبيوت أموالها في سبيل بناء القصور وحياته الاستمتاع ومذائح الشعراء فقد كان من آفة الفراعنة المصريين أنهم وجهوا جانباً كبيراً من موارد أرضهم الى صانع المقابر والأهرام ...)

وقد يتساءل بعض الناس لماذا لم يهتموا بالنواحي الديمرانية انثى نوت على الشعب كله بالخير ؟

وهنا أقول إن ملوك الأهرام بذلوا الكثير من أجل التعمير
 وانتحضر وبعض هذا ، الزراعة ، علم ذلك العصر وصناعته بما
 وراءها من رى وشق الترع والقنوات ، والتقويم السنوى وكل
 ما حملته عصرهم من حضاره يفنونها وعلومها ... فعلوا هذا قبل
 بناء الأهرام بل لعلهم بسبب هذا كله وبه ، بنوا الأهرام ...
 بعائد الزراعة وخيرها ، وبدافع استثمار نعيمها واستيقائه بعد
 الحياة . فما يفكر فى الخلود محروم أو مجهود ولكن نعيم الحياة فى
 مصر جعل جنة المصريين ، مصر خالدة .



بل أن أمين سامى (ياشا) صاحب كتاب تقويم النيل يقول فى
 جزء (مصر والنيل) برأى جديد مضمونه ان النيل كان يجرى فى
 ذلك العهد بالقرب من الهرم . فكانت الرمال تطمر مجراه . وكانوا
 يقاسون فى أزالتها أشد العذاب فبنوا الهرم ذا السطوح المائية
 التى اذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية
 الانعكاس . وضمنوه فوائد أخرى منها أنه يمكن به تعيين الجهات
 ومعرفة الفصول .

ودفن خوفو به من قبيل دفن أصحاب المساجد فيها .

حين نعيد كتابة التاريخ يجب أن يعرف النشء وجوه الرأى فى
 هذا الموضوع ليحكم بنفسه لنفسه وحتى لا يقع ضحية آراء
 مفرضة ، أو حائقة ، أو خاطئة ، أو متورطة مسايرة ومجاملة

لماذا الأهرام دون سائر الآثار فى مختلف الحضارات القديمة
 تسلط عليها فكرة السخرة ؟ مع أنها بنيت فى بيئات لا تنتظر
 انحسار فيضان ، أو يوثق علاقتها بالحاكم نهر معبود يجعل مرضاته
 باعتباره سيد النيل ، بركة وضرورة معا ؟

لماذا لا يقال ان سقارة حقق فيها المصريون حبهم للنور فأبو

السهول في هيئته وموضعه من الهضبة بكل ما فيه من قرار واستقرار وطمانينة يمثل فكرة انتظار مشرق الشمس .. والهرم نفسه مصعد الى الشمس فانها (عندها تسقط مضيئة بين فجوات السحب في السماء فانها تظهر كما لو كانت اهراما هائلة الحجم تربط بين السماء والارض . وتقرأ في أكثر من موضع في نصوص الاهرام وصفا للملك الميت وهو يستخدم أشعة الشمس كطريق ساعد يرقى عليه الى السماء .)

هذا الكيان الرياضي الصارم الأخاذ الجليل .. انه طائر ذو أربعة أجنحة ولهذا يجب على من يزوره أن يقف قبالة الزاوية ثم يرفع بصره الى القمة ويحتضنه من الجناحين في عملية تجسيد للنفس وللوجود البشرى المصرى .

انه وعاء للزمن فيه كينونة وراء صيرورة الأيام .

انه حوار بين الانسان والمطلق .. كتلة تطمئنه وسط الفضاء اللانهائى ... كتلة تملأ جزءا من الفراغ ثم عاد الانسان المصرى فلغاها حين صقل سطح الهرم بالطلاء الأبيض استزادة من التور . وهذه الثنائية في الشعور عبرت عنه أساطيرنا حين جعلت البطل بقدوم رجلا ويؤخر أخرى .

الهرم رؤية لأجيال مجتمعة في رائعة فنية .

انه اشارة الصمود والثبات في الشخصية المصرية .

٤ - أسماء وراءها مواقف «فرعون»

قالوا (فرعون) وعنوا باللفظة التجبر والتكبر، وأحيانا الشر والكفر
يقول المثل (تحسبه موسى ثلاثيه فرعون) .

وعند المثقفين المصريين يعنى لفظ (الفراعنة) المجد كله والفخر
كله . لئنا نشئ كلمة (فرعون) .

كيف تكونت ؟ ما هى دلالتها ؟

يقول الدكتور عبد العزيز صالح انه لقب (جمع بين صيغة
بصرية قديمة ، وصيغة عبرية قديمة ، وصيغة عربية قديمة .
صيفته المصرية القديمة برعا أو برعو «وتشبهها الصيغة الآشورية
برؤو أو برعو» وصيفته العبرية « فرعو » بعد قلب الباء هاء
« وتشبهها الصيغة الأغريقية فاراو » وصيفته العربية «فرعون»
بعد اضافة نون أخيرة .

أما الصيغة المصرية فهى تعنى البيت العالى، أو البيت العظيم .
وتلقب الملوك والرؤساء ، شئ معروف فى القديم بل لا يزال
مالوقا فى عصرنا الحاضر) .

ما الذى يجعل هذا القُتُب سىء الوقع عند بعض الناس ؟

هل هو فرعون موسى ؟

هل من طبيعة البشر أو طبيعة الأشياء أن يصدق فرعون بكل هيلة وهيلمانه ، وللوهلة الأولى ، داعيا ، فى نفسه منه ما فيها ...

وقد كذبت قريش بعد أن قطعت الانسانية من عمر الزمن دهورا بعده ، الزكى السرى الصادق الأمين وهو فى الذؤابة منها شرفا ومحتدا ؟ لم يكن عندها عذر عصبية الجنس أو عقدة الثأر القديم أو مبرر الاستعلاء .

لقد كان موسى فى نظر فرعون كما جاء فى القرآن الكريم قتال أحد رجاله وهو فى نظره ، ربيب قصره حتى ليقول له فى عتاب أو تأنيب أو كليهما : (ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .. ونعلمت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) .

ولم ينكر موسى (قال فعلتها اذا وأنا من الصالحين) .

سورة الشعراء الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩

كيف ؟

القرآن الكريم يقول : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوَكَّزَهُ موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين .

قال رب انى ظلمت نفسى فأغفر لى فيغفر له انه هو الغفور الرحيم .

قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين)

سورة القصص الآيات ١٤ و ١٥ و ١٦

(قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) القصص
آية ٣٢

الا يخطيء من ليسوا أنبياء ؟

وعندما يخطيء فرعون موسى هل ينسحب هذا الخطأ على كل
فرعون ؟

الم يكن اخناتون متساميا موحدا نبيلًا ؟

هل كل ملوك الفرس تميز ؟

هل كل خلفاء بنى العباس ، السفاح ؟

هل كل الفاطميين « الحاكم » ؟

واذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحداً من المقابل ،
أن يحسب لنا أجداد فرامين ، يكفى الواحد منهم أمة بأسرها
في باب المفاسد

على أن من أئمة المسلمين والواصلين من برأ فرعون من الكفر .
فالامام محيي الدين بن عربى يقول في كتابه « فصوص الحكم »
(بايمان فرعون ايماننا لازماً ، وأنه قد لقي ربه طاهراً مطهراً ؛
سالماً من العيب ، بريئاً من الذنب) وظاهره في هذا الامام جلال
الدين الدوانى في رسالته الخطية الموجودة بدار الكتب . مستندين
الى الآية الكريمة (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين) سورة يونس آية ٩٠ ، وجعله ابن
عربى ، آية على عنايته سبحانه لمن يشاء حتى لا ييأس أحد من
الله تعالى .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) .

وأخيرا اسم مصر

حين احتجب اسم مصر قال لى صديق فنان ممن يحبون مصر حبا خاصا ... هونى على نفسك وهل الذى احتجب الاسم الأصلي ؟

كثيرون ومنهم مثقفون يعتقدون أن اسم (مصر) هو ، التسمية العربية أى تسمية حادثة فى القرن السابع الميلادى فهى ليست بالاسم الاول القديم .

والحقيقة أن المصريين القدماء فتنوا بواديهم الأخضر وسماهه أكثر من اسم . فهو ، أى مصر ، عندهم (كيه) أى السمرات ، و (تاكيه) أى الخمرية ، و « تاوى » أى الأرضين (ايدبوى) أى الضفتين . ولم يكتفوا بهذا كله بل أضفوا عليها من ولعهم بها صفات شاعرية كما يدل المرموق المعشوق فقالوا « ايره رع » أى عين الشمس أو عين رب الشمس وقالوا « وجاة نثرو » أى عين رب الأرباب و « اترتى » أى ذات المحرابين و « باقة » أى الزيتونة فهى خضراء دائما ..

أما جيرانهم من كنعانيين وأشوريين وفينيقيين وبابليين فكانوا يسمونها مصرى ومشرى ومصر ومصرم ومصرايم « التسورا » ومصرين وختبها القرآن الكريم بلفظة مصر .

ومن الوثائق الخارجية المحفوظة رسالة بعث بها أمير كنعانى فى الربع الثانى للقرن الرابع عشر ق . م يطلب حماية فرعون ويستأذنه فى إرسال أهله الى « ماتو مصرى » أى الى أرض مصر .

أذن كلمة مصر تمتد فى الزمن الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وتقارب هذه اللغات فى اسم مصر يطرح احتمالا مؤداه أن هذه اللغات أخذته أصلا عن أصحابه ... عن اللغة المصرية القديمة فإن أسماء الاعلام تؤخذ كما هى الى حد بعيد ...

يقول الدكتور عبد العزيز صالح (ليس من المستبعد اطلاقا ان تؤدي الكشوف الأثرية المقبلة الى اظهار وثائق مصرية تذكر اسم مصر في صراحة ، ولكن حتى تظهر هذه الوثائق يمكن ترتيب الآراء المحنلة في ضوء المصادر المعروفة حتى الآن في تحليل اسم مصر ومترادفاته القديمة ، في أربعة آراء تفتى جميعها الى اعتبارها لفظا ساميا مشتركا يؤدي معانى الحاجز والحد والسرور ، ويترجم عن صفى الحصانة والحماية) .

ويؤيد هذا الرأى ما نراه فى النقوش والرسوم والتمائيل من احاطة كل عزيز عليهم وخاصة ملوكهم بقرص الشمس المجنح وبماء النيل وتسرب هذا عبر الزمن ، الينا فى قول ابن البلد (مصر المخروسة) .

ومن حب المصريين مصر ، كان قداماؤهم يسمون أنفسهم شعب الشمس ، والشعب النبيل ، وشعب الاله ، بل تصوروا انهم نبعة منه صيغت من جسمه ، أو انهم خلقوا من عينه ونزلوا من دموعه . وكان ملكهم كان ينطق بلسانهم جميعا (اليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ؟) .

قد تكون القوة والثراء والرخاء والسيادة ... قد تكون هذه الصفات مجتمعة ومتفرقة ازدهتهم فوصفوا أنفسهم بهذه الصفات . ولكن عصور الضعف بما تورثه من تخلف وتسبب وانحطاط هل كان الشعب المصرى يرى نفسه ، فيها ، دموع الله أم دموعه هو ؟

فى عصور القوة بمكاسبها .

وفى عصور الضعف بمثالبها .

نحن مصريون .

٣- مصر والغزاة

قالوا ان مصر تعاقب عليها الغزاة وتصدوا بهذا أن يرموا الشعب المصرى بالاستكانة والخضوع . بل حاول الاستعمار تعميق هذا المعنى فى نفس الشعب حتى يستسلم لقدره فيه .

تضية أو نظرية آن الأوان لكى نناقشها :

زرعت مصر الوادى فكيفها النبات وعالم الزراعة المتجدد أبدا ... ألهمها فكرة الخلود .. لماذا لا تتجدد النفس المصرية هى الأخرى ؟ عالم الزراعة أكسب مصر صفة الثبات الدائم ... أن التقلبات لا تثير المصرى كثيرا ... أنه هو الباقي وكل العواصف بّزول .

لم يضع هدرا ، النضج الحضارى الذى استقر فى أعماق الانسان المصرى والذى كثيرا ما يكون قد قر تحت قشرة متواضعة أو خشنة أو فقيرة ، ولكن المصرى المتواضع أو الفقير يعرف (الأصول) و (العيب) . يقول الدكتور زكى نجيب محمود :

(كان من المستحيل على المصرى أن يجتاز هذه الحضارات التى يكمل بعضها بعضا دون أن يمتص رحيقها .. ومن بين ذلك

الرحيق أن يفرق بين ما هو عابر وما هو دائم ... ومن هنا جاءت صفة الصبر عنده .. وجاءت صفة السكينة والهدوء التي يتقبل بها الأحداث عادة لأنه موثق أن المستقبل له آخر الأمر ...



ان الغزاة في القديم غزوا مصر بعد أن نعت طويلا بالحرية والرخاء والفن . والأمم كالأفراد يضعفها الترف . وكل أمة يتعاورها المجد والاضمحلال ... لم توجد الأمة التي أطرد مستواها على وتيرة واحدة ... تلك الأيام ندولها بين الناس .

ثم ان النصر في الحرب لا يدل على افضلية مطلقة ... هل تزن اسبرطة في التاريخ وزن أثينا وهى التى تهرتها وحكمتها ؟ اين اسبرطة من أثينا في القديم والحديث ؟ .

ان الذى القى القنبلة على هيروشيما كان يعمل لحساب رئيسه فى أمريكا، فلا يدل هذا على أن القائد الأمريكى أكفأ من القائد اليابانى .

هذا حين لا تصلح الغاندية بدون غاندى .
ان الفكرة أخلد من العصا .

ان فرنسا هى الأوبرا وفولتير وروسو ... وانجلترا هى ببيكون وشكسبير .

• الأمم بالرغوس لا بالعضلات •

ويوم يسود الفكر سيبطل عمل الجيوش . ان الذى أنهى حرب فيتنام أن وجد بين المجتدين الأمريكيين من يقول لماذا ؟ (ليه ؟) .

والذى أنهى استعمار فرنسا للجزائر أن قالت فرقة فرنسية أمرت بالسير الى الجزائر لماذا ؟ (ليه ؟) .

مثل هذه الأصوات تفيق الطغاة ..

لقد قتلت القوة الغاشمة أرشميدس بخبطة -عصا... وكذلك العالم الفرنسى « لا فوازيه » فى لهيب الثورة الفرنسية ...

ان العالم القديم كان أشبه بهوجات تعلو دوله موجة ، وتمتد ثم تهبط وتنحسر لتأتى وراءها موجة أخرى . وهكذا بدأت نصر العرض .

وهى فى جميع الأحوال لم تغب الاضواء عن قسمااتها . ولما جاء الاسلام كان يحمل معنى ونظرية « الأمة الواحدة » (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . فكل وال مسلم غلب اسلامه جنسيته ، فلم تحس مصر بالفرية خاصة بعد اعتناقها الاسلام ثم تحسها له وهبتها للدفاع عنه ووقفها معه وتمكينها له . لقد استقبلت مصر ، الاسلام ، بما فيه منها ... وبحسها الحضارى بما فيه من انفتاح على الفكر وانسراح واحتضان للقيم تجاوزت مصر مع الاسلام أخذت منه واعطته على العكس من تركيا .. لأن الأتراك أمة حرب ليس من طبيعهم السماحة والوداعة والرحمة والشفافية حتى التقى منهم كان فى عنجية .. فقد روى الدكتور أحمد أمين أن التركى كان يقف بباب المسجد وفى يده كبرياج يجند به الرائحين والغادين ليدخلوا المسجد ويؤدوا الصلاة !

حتى الخلافة الاسلامية التى هبطت على تركيا من السماء ، لم تستفد من هالتها وبركتها فلم تتفتحه فى الدين ، ولم تعدل فى الحكم ، ولم تتبحر فى العلم ، ولم يشف وجدانها أو تتثقف روحها .

كان زواجها من الاسلام عقيبا وانتهى بالطلاق على يد أتاتورك . وهى نهاية طبيعية على الرغم من مزرع الكثيرين فى وقتها . ولم تجد نصيحة شوقى لها (يا دولة السيف كوني دولة القلم) لأن القلم موهبة . وعطاء (يؤتى) و (لا يكون) ...

ثم يأتى كاتب مثل Levonian يشغل عبادة مدرسة الدين فى اثينا ويحكم على العقلية الاسلامية بما . اقترفته تركيا فى الخلافة

في كتابه : Moslem Mentality

وعدوا على مصر قائمة من أسماء الحكام ... إن ابن طولون والإخشيد والمعز وصلاح الدين كل هؤلاء اتخذوها منطلقا وحكموا منها ، وبها قبل أن يحكموها .

حكموا باسم مصر وتوسعوا في الفتح بطاقات مصر وأسسوا الدول يظاهرم موقع مصر وثروتها وقدراتها الكثيرة مما لم يتوفر لهم في بلادهم الأصلية وبين أقطابهم أنها عبقرية المكان أو روح المكان بها وهبه من امتياز الموضع وشخصية الحضور فان الوجود في مصر شيء في ذاته يمنح صاحبه من طاقة القدرة ما لم يمنحه حتى في بلده الاصيل. والمثل عندى صلاح الدين ونور الدين فليس الاول بخيرهما ولكنه الأسعد حظا بوقفة مصر معه . ، تعرف هذا مصر فضلا عن اعتبار الدين واللغة ، ولهذا عندما جاء الأجنبي الحقيقي نابليون لم تطلقه فلم ينصرم على وجوده القلق بها ثلاث سنوات حتى كانت أجلته جلاء تاما عن ترابها. وليست مصر بدعا في هذا فقد استطاعت البابوية أن تحكم أوروبا على الرغم من الحدود قرونا بتأثير الفكرة الدينية .

ألم يدافع زمءاء منا متطرفون في وطنيتهم متحمسون في حبهم لمصر عن السلطان التركي باعتباره الخليفة وأمر المؤمنين ؟ ... من يدري لعل كثيرين نظروا الى سليم الأول على أنه المنقذ من المماليك ! أو الرمضاء .

بل ليكن الحاكم من يكون فسد أم صلح ما دام لا يتعرض للأرض أو العرض أو الرزق . أما إذا مس أحد هؤلاء فان مصر تتمرد عليه كأمسى ما تكون. أمة كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه عن سعد زغلول .

وليكن هناك ناس عندهم استعداد أو موهبة الحكم. هل معاوية في التاريخ خير من على ؟ ان أصحاب القيم عادة لا يصلحون لحمل العصا . لقد رفض كثير من القضاة ، القضاء والولاية

ومنهم رجلنا الليث بن سعد . لقد عرض عليه حكم مصر فرفض
كما رفض القضاء ولكن السلطان والقاضي كان كل منهما يغشى في
نوائبه وحوائجه مجلس الليث التماسا للرأى أو التأييد فان استحقه
جاد عليه به أمام مصر وفقيها . واذا أنكر رجلنا الليث من السلطان
أو القاضي أمراكتب الى الخليفة فما يلبث أن يأتى الحاكم ، **العزل!**

لقد كان الليث ينهى عن مدح السلاطين وقد تكفل بمنصور
ابن عمار حتى لا يقف بباب السلطان ويمدحه رغبة أو رهبة .

ان استمرار مصر في صناعة الحضارة كان فيه رضى نفسها .
فالخلق والابتداع والتفنن هواها وهوايتها منذ القدم .. أما الحكم
فلم يكن يهمها منه كما قلت الا العدل فيها والتعفف عن أموالها
أو عدم الجشع والسطو . كان الحكم في نظرها مهما بلغ وظيفته
إدارية لا فن فيها حتى لتسميه في سخرية لا تخفى (الضبط
والربط) .

من أجل هذا كله زهد المصريون في الحكم واعتزوا بالسلطات
الحقيقية : السلطة الروحية أو السلطة الأدبية والفنية .

ان السلطان الحقيقي في عين مصر هو الفنان الذى لا سلطان
لأحد عليه ولو كان من أهل الحرف .

ان الواحد من هؤلاء اليدويين (معلم) ، ولعلميته أصول وتقاليد،
وله احترام خاص وسمت معين . وحين فتج سليم الأول مصر
جمع هؤلاء المهرة والفنانين وحملهم معه الى القسطنطينية . ودلالة
هذا بهر الغالب بفن مصر بهرا يسيل لعابه حتى ليعجز عن
مقاومته ... ولم يؤثر عن سليم أنه أخذ فنانين وصناعا من مكان
آخر في الشرق كله ..

اعتبار آخر ... ان المصرى حريص على ما يملك .. يبقى
ويصون . الخبز في مصر دون سائر البلاد (نعمة) و (عيش)

والمصرى لا يرمى لقمة ... وإذا وقعت منه على الأرض ينحنى يلتقطها ويرفعها في محاذاة عينه ثم يقبلها ... الماء نعمة والأرض نعمة النعم ... والمصرى لا يبهدل النعمة . ولهذا يفكر ألف مرة في (كيفية) رد العدوان عليه ... أن الروسى يحرق الأرض بعد أن ينسحب منها حتى لا ينتفع بها المغير . ولكن المصرى في الغزوات التي ابتلى بها كلها لم يفكر مرة واحدة في حرق الأرض ... كيف ؟ انه يعيشها .. لا يهون عليه حرقها ... السلب أهون ولو انه ألقى المرين . انه واثق أنه سيجمع أمره ويستردها ... مآلها إليه وحده فلا يشوه نصره المأمول بأضرار المحبوب .

والمصرى لا يقامر ... حين طلبنا وقف القتال سنة ١٩٦٧ الحزينة كان هم مثقفينا ، القاهرة .. الخوف على كنوز التاريخ فيها كما أعلن الفرنسيون ، باريس مدينة مفتوحة . لكل شعب طريقته في المقاومة وفلسفته .. الشعب المصرى كان ينظر الى الحاكمين نظرة الشاعر في أعبائه بقيمته وحضارته وتراثه ووراثته الى البرابرة الذين لا يملكون الا العضلات . فكان همه كله أن يحافظ على ذاتيته .. على قيمته وحضارته وتراثه ووراثته باتقاء شرهم أو اعتزالهم لاسيما اذا اتقوا ظلمه ...

كان المصريون يعتبرون بعض الغزوات وغادة همجية دفعتها قسوة الطبيعة في بيئتها الى الوادى الأخضر .. وبهذا تكون مصر اقلمتها مثل الغزوات التي جاءت من الغرب كغزوة الهكسوس الذين عنتهم مصر بكلمة (المحرومين) ، على الرغم من انتصارهم واستيلائهم على الدلتا . وهى صفة توحى باعتزاز النفس المصرية بذاتها المعنوية والمادية ... بذاتها الحضارية حتى ولو غلبت سياسيا ... فغزاة مصر اما « محرومون » يتطلعون الى الرخاء المصرى أو «برابرة همجيون» يطعمون في (الملك) المصرى .. ومن هذا المفهوم تنبع لفظة الهكسوس التي أطلقتها مصر على الآريين الذين هاجموا من الشمال الشرقى .

والمصرى دعونا نقولها واضحة وصريحة .. المصرى حكاه لم
ينصفوه فالحكم مفسدة للقريب والغريب .. لعل المصرى عند النزو
قال فى نفسه : أيموت دفاعا عن كرسى هؤلاء ؟ من يدري لعل هذا
منبع حكيمته التى تقول (ما يموت على السد الا قليل الفلاحة) .

ما دام الشعب المصرى لا يفهم من الحكم مغنما حقيقيا فليتصارع
على الحكم المتصارعون أيا كانوا، وليعكف هو على عمله الذى يجبه
ويحقق ذاته فيه .. ان حكيمته واقعية لا نظرية وكم فى اعماق
البسطاء من حكم ...

فلسفة الشعب المصرى ان يتوقع على نفسه النفيسة ويصيف
من دموعه فى محارته أو عزلته ، لؤلؤة .. فنا وصناعة وطرفا ..
يتوارث مهارتها خالفا عن سالف ويعتز بمعطياته فى هذا المجال
فيجعل كما أشرت لكل (صنعة) حيا ومعلما .

ان الذى أمسك علينا شخصيتا بعد سنة ١٩٦٧ أننا لم نعتبرها
هزيمة أمة .. ولو فعلنا لانسحقنا . ولكننا غسلنا عارها بعد ست
سنوات هى فى عمر الأمم لحظة ، أو بعض ساعة ...

لا كانت سنة ١٩٦٧ ... لقد جرحت الهزيمة حتى البسنيات
وسنابل القمح ، ورقة الياسمين ... جرحت السنين فى شيخوخة
الآباء ، وجرحت نضارة الطفولة فى الأبناء ... جرحت السرور فى
القلب والكبرياء .. جرحت الثقة والقدرة والآباء ... جرحت الليالى
... ليلالى القاهرة فلم تعد عذبة ولم تعد فائنة ساحرة ... وبكى
الفجر فى الحقول حتى بلل الصبر ، وتشابهت الأيام فلم يدر بها
العمر ...

ومع هذا لم تعرف مصر ولم يعرف تاريخها حائط المبكى . كانت
مصر فى الأعوام الستة تلهم جراحها وتجمع نفسها ، وتستوعب
خصائصها فى عملية تحضير اللعب الدور الجديد الذى بدأ بالعبور .

هذه هي شخصية مصر التي يرمز اليها النيل والهرم ... النيل الذى كان التشريع المصرى ينص على أن النيل اذا بلغ أربعة وعشرين ذراعاً أصبح لزاماً على كل مصرى من أى طبقة العمل على حماية البلاد من فيضه ... ولعل شعورنا العميق بوجوب التجمع والتوحد عند خطر النيل هو سر الحيوية المصرية التى تستطيع فجأة عند الخطر حين لاتدل الدلائل على هذه اليقظة قبل وقوعها .

والهرم الثابت فى وقفته ، الراسخ فى هيئته ، الشامخ فى كبرياء ورائه وأمانه جلال الماضى ومواكب التاريخ ومعنارك التاريخ أيضاً، ولكنه بعد الغزوات والكبوات والانتصارات ظل هو معجزة العلم والفن والحضارة ... معجزة مصر وشخصية مصر .

أين الغزاة ؟

ان مصر لا تموت ..

وان ما نشهده اليوم من ارادة التغيير والعمل والتحرير شاهد لا يخيب على ارادة الحياة الكامنة فى النفس المصرية بل التحدى للثمر والألم .. التحدى للصعب والمثرات ... وأسلوب مصر الذى لا يتغير فى تخطى المحن هو « العهل » .

ان الحضارة المصرية كلها احتفال بالعمل . كانت حياتهم قريانا .. حياتهم نذرها للمجد ... وهنا ندرك معنى قول القائل (الموت لمن) فالمتحر عاجز عن الحياة ... عجز عن تكريس الحياة لهدف ونذرها له حتى تفنى دونه ..

لقد أدركت الحضارة المصرية منذ القدم بالبصيرة حكمة تغيب عن كثير من المربين ، وهى أن الانسان لا تستقيم حياته ما لم يكن فى طريقه الى غاية كبيرة ، أو يشارك فى عمل رائع ، أو هدف يثير الانبهار

ان الناس يسمون المتفانى في الذكر « مجنوبا » ثم أطلقوها بعد هذا في غير موضعها . فكل من سخروا منه سموه مجنوبا ، مع أن المجذوب هو الذى اعطى بلا تردد في الرجوع ... اختار ...

وقد اختار الانسان المصرى صناعة الحضارة ... وصناعة الثقافة ... اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق وأن يجعل من نفسه مرقبا ومنطلقا للتشكيل ... للبناء ... للتشويق ... للرائع والجليل ...

والمصرى الاصيل دائبا يعطى نفسه للقيمة فهو عندها يكون غالبا مستقرا يعطى نفسه للفن .. وعندها يكون جريحا مهيضا يعطى نفسه للنصر أو الشهادة .

ان شهداء المسيحية في مصر قد أعطوا أنفسهم لمعنى ... وقد أدركوا هذا جيدا وتصدوه. ومن ثم غنوا وهم في طريقهم الى أعواد المثائق ...

والمصرى الاصيل لا يعوقه شيء عن هدفه ... لقد كان أبو الهول في الأصل صخرة ضخمة تعترض طريق المصرى الى الهرم فشكلها تمثالا وأحال العائق الى فن رائع ...

ان فن المشربيات الذى ابتدعه العصر القبطى كان وراءه سبب قلة الخشب في مصر فأحال المصرى فقر الكم الى غنى الكيف ...

شكلت مصر الخشب وهو قليل عندها ، أروع ما يكون التشكيل في تمثال ابن البلد ...

لقد نشأت التراجيديات في الأدب الغربى ولم تنشأ في الأدب المصرى . ولعل مقدمه نيتشه عن مولد التراجيديات تعلق هذه الظاهرة . فقد تسأل نيتشه لماذا ولد بطل احدى الكائنات الاسطورية ولماذا يعيش ؟ ثم خرج من حيرته بقوله : انه كان يجب (الا يولد) . وهذه

العبارة بمثابة رد على الموت ... على حين ان مصر لم تعترف بالموت ... اذن ليس هناك مأساة .

مصر من حبها للحياة تجاهلت الموت بعدم الذكر او تصدته بالارتفاع فوقه .. وبسرعة . ان ثمة اوزوريس وست التي كان يمكن ان تشكل تراجيديا كبرى ، نقلتها مصر الى ساحة المحكمة او ميدان الصراع . فالحوادث محاكمة او نضال ... لم تقف مصر طويلا عند لحظة القتل لانها تحيا ... لانها لا تعترف بالموت نهاية ...

المصرى يرتفع بسرعة على حزنه الكبير يرتفع عليه وهو يحسه في داخله احبسا عيقا . بل لعله بقدر هذا الاحساس يكون ارتفاعه ان البسطاء من المصريين وحدهم هم الذين اثر عنهم العويل واللطم لأنهم يرون الموت ساحقا يسحقهم وهم أبناء شعب يحب الحياة ، فيعيشون طويلا في الموقف .

ولكن الانسان المصرى الواصل عندما يحزن يستقلب اليه في داخله ، ويستدير هو يعيد البناء ... والشواهد كثيرة من تاريخها وعلى هذا لم تعرف مصر التراجيديا ... حتى المسيحية المصرية ركزت على الام لا الصليب ... ركزت على الام بحس بعيد من ايزيس وهاتور

الفكر الاوربي يقول ان الافضل الا تكون هناك حياة ... والفكر المصرى يقول الحياة سرمد ولا موت ... حتى كتاب الموتى لم يعرف عندهم بهذا الاسم وان كان مضمونه طقوسا جنائزية ...

ان المصريين القدماء لم يرفضوا الموت فحسب بل رفضوا الشيخوخة أيضا ... ولهذا عنوا في أهراماتهم بصالة تجديد الحياة . وفي معبد هرم زوسر رسم للملك الشيخ وهو يجرى جاسرا بعد أن علت سنه ، لتجديد نشاطه .

ان التراجيديا عند مصر الفرعونية تتمثل في ذبح الثور يقدمونه قربانا ثم قال حكيمهم (عملك الطيب احسن عند الاله من القرينان) ...

اننا نلقن تاريخ مصر ولا نقرؤه وبهذا أضعنا المفتاح ... واننا لكي نعيش عصرنا بأحداثه لا بد لنا ، في عملية البناء ، من رحلة في النفس ومعاناة حقيقية . بحثا عن المفتاح حتى يقوم الجسد على أساس متين من ماضى هذا البلد بما وعى من تجارب ومكابدة وذخائر .

هنا على هذه الأرض نضج الانسان والنضج وعى .. والوعى سعى ... انه تحريك القوى في كل مجال ... وهذا بعينه حدث في مصر ... وهذا بعينه لابد ان يحدث في مصر اليوم اذا اردنا الانتفاض والعمل ..

لقد شكلت مصر في « العصر العتيق » أى في الأسرة الاولى والثانية قبل عصر بناء الاهرام ، شكلت مصر ذرات الصسوان وشكلت من البللور الصخرى الوانا من الآنية فيها الحسن الصافي للشكل . وليست المسألة التشكيل على ذروته ، ولكن « ادراك القيمة » .

هذه هى شخصية مصر الذى دخل بها الفراعنة ، التاريخ ووضعوا بصمتهم عليه ...

شخصية مصر التى هى وعى بالقدس ، وارتفاع فوق الأحداث ، وطموح حضارى .

ان الشخصية المصرية بهذا المعنى هى اعلى سد ضد التقهقر والتخلف والتفسخ في الداخل ، وضد الهجوم والتربص من الخارج .

وان مصر التى كانت رائدة ثلاث مرات في التاريخ مرة حين

ابتدعت الحضارة ، وأخرى في المسيحية ، وثالثة في الاسلام عليها
 أن تبقى رائدة مرة رابعة وتحمل رسالة قديمة جديدة. والجدة هنا
 تعنى وجود الرجال القادرين على « التحريك » أو كما يسميهم
 توينبى : Those who know how الرجال العارفين بمنطق
 الحدوث أى ما وراء وجود العمل الفنى ...

هذه هى شخصية مصر ... وأنا أعنى كلمة شخصية التى
 يتوسع الكثيرون فى استعمالها مع أن « الشخصية » لفظ كبير
 جدا فى المفهوم والدلالة حتى ليقول « يونج » ، (من أندر ما يمكن
 أن تجد شخصية) .

الشخصية خلق جديد لا يتكرر ولا يقلد لأنها روح .. لانها
 عطاء .. لانها سر .

ومع هذا فمن بين أطفالنا ساذج يقول : أنا لى شخصية !
 وما درى ان أمته كلها شخصيتها النفيسة قد تاهت وهى الآن
 تعيش فى محاولة البحث عنها ... أو البحث عن مفتاح ...
 لاسترجاعها ثم الابقاء عليها ثم تنميتها بمتطلبات العصر الذى
 نعيشه من خارجه، حين يفرض علينا دورنا الحضارى أن نستقطبه
 ثم نزيده بفعالية واضافات رائدة .



بقيت قضية :

الاقباط والمسلمون . من نحن ؟

الاقباط والمسلمون

ان المثقفين من المسلمين والاقباط يعلمون بالدراسة والوعى التاريخى ، أن مصر اعتنقت المسيحية ثم الاسلام .

المسيحية جاءت من فلسطين .

والاسلام جاء من الجزيرة العربية .

وبعد تفكير وتمحيص للدين الواحد ولوقفها هى ، اختارت مصر المسيحية بل تبنتها ودافعت عنها **بالرأى والروح** .

ولاعتبارات فصلتها فى كتاب (شخصية مصر) بل فى هذا الكتاب دخلت مصر فى الاسلام أنواجاً . . ولم يكن غريباً عن طبيعتها ، ولا عن مسيحيتها . ولهذا لم يكن اسلامها مساييرة أو تسليماً ، ولكن كان اسلامها موقفاً واستجابة وإيجاباً ، فلم تلبث أن تحمست له ، ودافعت عنه **بالرأى والروح** .

وكما نشرت مصر المسيحية وأضافت إليها كما لم يفعل أحد .

نشرت مصر الاسلام ومكنت له كما لم يفعل أحد .

وبها تمثل المسيحية من وقفة مصر وموقفها . . . من رأيها وشخصيتها ، نعزى بالمسيحية مسلمين واقباطاً لاننا مصريون .

وبما يمثل الاسلام من سماحة مصر وتفتحها ... من احساسها بذاتها حتى لاتخشى الجديد ، لانها بالتاريخ الطويل تعرف أن لها في كل مسرح مكانها ومكانتها ... بهذا ، ولهذا ، نعتز بالاسلام أقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

وامتدادا لهذا ، حين تهد مصر للعروبة يدا داعية أو مستجيبة لها يخدم هذا من مصالحها ويعزز دورها ويساندها ، لا أملء من فرد ، أو تحقيقا لطموح شخص ، أو اندفاعا مريضة ، فان العروبة هنا ، بما تمثل من رأى مصر نفسها ، نعتز بها أقباطا ومسلمين لاننا مصريون ...

فلا يخلط كائن بين الدين والجنسية ، كما والى في الماضى المسلمون (بعض منهم) الاثراك ، والاقباط (بعض منهم) الانجليز ... لا عن خيانة من الطرفين ولكن عن سطحية في التفكير والوطنية وما منع الاسلام تركيا ، ولا المسيحية انجلترا ، أن تظلم مصر كلها باستعمارها ، ثم باستغلالها ، وتعويقها ، وتهرها

الدين علاقة خاصة بين الله والانسان .

ولكن الوطن علاقة عامة أخطر أثرا ، لان الله غنى عن صلواتنا تحت جميع الاسماء . ولكن الوطن حياته بحياتنا، وحياتنا بحياته **مقترنة ومطرده علوا وانخفاضا .**

الاديان جاءت بعد الانسان .

ونحن مصريون قبل الاديان والى آخر الزمان .

ليس الاقباط بالمسيحية فلسطينيين بل مصريين اعتنقوا المسيحية .

وليس المسلمون بالاسلام عربا ، بل مصريين اعتنقوا الاسلام حتى شكوا والى عمر بن عبد العزيز من نقص الجزية فقال

الخليفة الذى يعرف مصر جيدا لانها ريته فى ولاية أبيه عبد العزيز ابن مروان (ان الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جابيا) ...

ولا يسمى هذا العرب بل يشرفهم . فلئن نكون مصريين أسلمنا خير من أن نكون أعدادا من العرب فى مصر ... ما الجديد فى هذا بالنسبة اليهم ؟ وما معنى خروجهم بالاسلام من الجزيرة العربية ، وتجاوزهم به الحدود اذن ؟ هل لم يؤمن به أحد ؟ . وما معنى (بعثت الى الناس كافة ؟) وأين عالمية الاسلام اذن ؟ ان لم يكن أهل البلاد المفتوحة أسلموا فهو دين محلى خاص .

والقائلون من الأقباط بأن المسلمين المصريين دخلاء ظلما منهم بسذاجة أن هذا يتيح لهم أن يتفردوا بمجد القدماء أو بشرف الانتساب الى مصر ... لهؤلاء أقول :

هل يشرفهم أن يكون الدخلاء ، كما يقولون ، يشكلون أغلبية والاصلاء هم الاقلية ؟ أما حين يكون المسلمون مصريين مثلهم فان كل فضل للأغلبية أو للأقلية فهو كسب للجميع باعتبارنا كلا واحدا يكمل بعضه بعضا ، أمنا مصر وأبونا النيل . وبينهما يتفاوت الاخوة وقد يختلفون ، ولكن عندهما يلتقون ، واليهما ينتسبون .

وكيف يجوز فى الفهم أن يزيح الفاتحون أهل البلاد ، لاسيما اذا كان أهل البلاد أقدم تاريخا وحضارة ؟

ان جيش الفتح فى قول كان أربعة آلاف ، وفى قول ثمانية آلاف ، وفى قول ثالث بعد الامدادات ١٢ ألفا ، ويمتد آخرون بالامدادات الى ٣٠ ألفا .

وأهل البلاد فى قول ثمانية ملايين ، وفى قول عشرة ملايين ، وفى قول ١٢ مليوناً .

فلو اخذنا بأكثر الاعداد بالنسبة للقائحين .

وبأقل الاعداد بالنسبة للأصليين .

هل من المعقول أو حتى من اللامعقول المخبول أن ثلاثين ألفا ، يضاف اليهم من لحق بهم من قبائلهم ولو كانوا أضغاثا أن يمسحوا بلدا ، وإى بلد ، بلدا كمصر ، ويصيروا هم أصحابه أو أغلبيته ؟ حتى اذا تجاوزنا أن الهجرات والقبائل كانت مقترنة بشخص الوالى تخرج بخروجه ، وأن صلاح الدين الايوبى ضيق على بقايا القبائل العربية واضطرها الى هجرة جديدة الى شمال افريقيا ؟ حتى اذا تجاوزنا هذا كله أو اسقطناه ، هل من المعقول أن الآلاف تناسلوا فصاروا ملايين ، وعقم الملايين وصاروا آلفا أو مليونا أو بضعة ملايين وفقا لآخر احصاء ؟ أى منطق هذا ؟ ولمصلحة من ؟

أيهما أكرم لآخوة الوطن . . للأقباط أن نكون دخلاء أم أصلاء ؟ وإذا اعتسفنا المنطق نفسه وقلنا ان المسيحيين المصريين فلسطينيون باعتبار موطن المسيحية الاول (بيت لحم) ، أين مصر اذن بين المسيحيين والمسلمين أى بين الفلسطينيين والعرب نتيجة للمنطق العجيب .

ان كل عقيدة دانت بها مصر وكل رأى قالت به ، وكل عمل مارسته جزء من نسيج الشخصية المصرية ، الخطأ منه والصواب اعترفنا أم أنكرنا . . . اننا بهذا كله ، مصريون .

المسيحية دين كتابى دانت به مصر وجعله الاسلام شرطا للإيمان به . فلن يكون المسلم مؤمنا حتى يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر . والانجيل كتاب الله . . . وعيسى عليه السلام نبى الله .

والاسلام دين كتابى اعتنقته مصر بعد أن أصهر اليها وأعطت رسوله دون غيرها ، الولد ، كما أعطت الولد ، قبلا ، أبا الانبياء ابراهيم .

يجب أن نلقن هذا الكبار قبل الصغار حتى لا تكون عقدة
ولا استعلاء ولا تفاضل ولا تناحر يتسلل منه إلينا مستعمر يفرق
ليسود ، أو جاهل بالدين والتاريخ يحسب التعصب ديناً فيضرب
بالدرجة الأولى من يتعصب لهم بما يفتح عليهم من ردود فعل
أمثاله من الجهلاء في الطرف الآخر .

هذا في الداخل ، أما في الخارج فالتاريخ الحديث يشير بأصابعه
العشرة إلى سلاح رهيب من أسلحة الاستعمار . سلاح الوقعة بين
شطري الأمة الواحدة فعل هذا الكاتب الانجليزي جون بورنج
John Bouring في القرن التاسع عشر وشايعة ادوارد وكين
Edward wakin في الستينات من القرن العشرين في كتابه
(أقلية متوحدة) A Lonely Minority أو القصة الحديثة لاقباط
مصر خاصة في الفصل السادس عشر . . . وان لم يستطع أحد
أن ينكر التماثل بين الإقباط والمسلمين حتى كرومر في كتابه
مصر الحديثة Modern Egypt لم يستطع الفكك من هذه
الحقيقة وهي أن القبطي والمسلم انسان واحد هو في النهاية
الانسان المصري . وانى أترجم حرفياً ما قاله في الفصل السادس
والثلاثين من كتابه (القبطي من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، في
في السلوك واللغة والروح ، مسلم وان لم يدر كيف . فبالقبطيات
تتشبه بالمسلمات والأطفال تكييفوا همالة وعادات الزواج والجنائز
تشبه ما عند المسلمين) . وان كان يعزو هذا في خبث
المستعمر ودهاء الخبيث إلى تأثير الأقلية بالأغلبية مستهددا الشواهد
من الهند بين المسلمين والهندوس . ولا أدل على تعصبه هو من
مهاجمته في أكثر من موضع ، مواطنه ادوارد وليم لين لاعتداله
في كتابه عن المصريين المحدثين ١٩

The Manners and Customs of Modern Egyptians.

والاقباط الذين يتعلل بهم كرومر ويتذرع بهم استعمار دولته قال
عنه أحد أعلامهم . وهو الأستاذ سلامة موسى في كتابه (تربية سلامة

موسى) ، (انه كان طاغية عاث وعربد في كياننا الاقتصادى والسياسى وعطل بلادنا عن التطور وانه كان جاهلا يتشدد بعبارات لاتينية او اغريقية قديمة ولا يعرف شيئا من العلوم العصرية الجديدة) .

وقد فصل هذا بالأرقام والاحصاءات الاستاذ رشدى صالح في كتابه (كرومر في مصر) .

ويبدو أن خلفه جورست لم يكن أقل سوءا منه . فيروى الأستاذ سلامة موسى انه ابان الانبعاث الوطنى فى الأمة المصرية عهد جورست الى (مناورة استعمارية هنى ايجاد الخلاف والشقاق بين المسلمين والاقباط ، فكان الموظفون الانجليز يحرضون الاقباط من ناحية على المسلمين ثم يعودون فيحرضون المسلمين من ناحية اخرى على الاقباط) .

ولم يقصر كتشتر في هذا المضمار

انه الاستعمار دائما وراء الفتن . . فهو فى مصر يستهدف الوحدة الوطنية وهو فى الهند يعمق عن عهد الصراع الدينى بين المسلمين والهندوس كما يقول الدكتور جمال حمدان فى كتابه (العالم الاسلامى المعاصر) مثلما عمق الخلاف بين سنية الشمال وشيعة الجنوب فى العراق تفتيتا وتمزيقا للوحدة الوطنية فى الرافدين بل حاول الاستعمار القول بشيعة ايران قبل اسلاميتها تدميرا للوحدة الدينية بعد الوطنية .

واذا كانت المشكلة الطائفية تبدو قديمة فى العالم العربى ، فانها كما يقول الدكتور حمدان (لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار : هو الذى غذاها ان لم يكن خلقها ، وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده . وهل ننسى ، أن الصليبية — حتى الصليبية — تذرعت بحماية الشيعة من

السنيين (كذا !) ، فضلا بطبيعة الحال عن زعمها حماية
المسيحيين من اضطهاد السلاجقة في الأراضى المقدسة ؟)

انى أقرأ الآن فى (الاستاذ) — الجزء الرابع من السنة الأولى
قول السيد عبد الله النديم (حتى فى الحروب الصليبية التى تحرك
لها عالم أوربا برمته وامتد قرنين وكان لمصر فيها الشأن الأكبر
واليد القوية ولم يسمع ان مسلما تعدى على قبطى مع اشتغال
نيران الحروب . ولقد امتد ذلك حتى فى زمن الحركة الأخيرة —
يقصد الثورة العربية — التى كانت مظنة لحدوث فتنة بين المسلمين
والإتباط فانه لم يسمع بتمعدى احد الفريقين على الآخر وعلى
الخصوص فى بلاد الصعيد التى يسكنها معظم الأقباط . وهذا كله
دليل على أن التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية) .

ويقول خطيب الثورة العربية فى موضع آخر :

(ومع كون الأقباط عاشوا دهورا طويلا وهم أصحاب مشيئة
واحدة يأتهمون بأمر رئيسهم الدينى وينتهون بنهيه فانهم لم
يجتمعوا يوما لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف
ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الأسباب دينيا أو دنيويا ولا مالوا
للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية الى حرارة غيرها لعدم
الموجب) .

وقول عبد الله النديم يعود بنا الى الأمس البعيد والقريب . ففى
سنة ١٨٧٤ عندما شرعت نظارة الحقانية فى التحضير للمحاكم
المختلطة انضم بطرس غالى باشا الى محمد قدى باشا فى ترجمة
توانين هذه المحاكم الى اللغة العربية وتعريب النشريع الذى
ما زالت مصر تأخذ به الى اليوم . . .

ان مصر بلدنا معا .

لقد أنشأ بطرس غالى باشا الجمعية الخيرية القبطية سنة ١٨٨١

فخطب في حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار
وعبد الله النديم .

وأقال الخديوى عباس الشيخ سليم البشرى من مشيخة الأزهر،
فخف إليه بطرس غالى باشا يعرض مساندته ويقف الى جانبه .
لقد مات بطرس غالى باشا مقتولا برصاص ناصف الوردانى ،
كما مات من بعده أحمد ماهر مقتولا برصاص محمود العيسوى
والقاتل والقتيل فى الحالين كانا يعملان لمصر من وجهتى نظر
مختلفتين .

ودافع محمد حسين هيكل عن بطرس غالى فى كتابه (تراجم
مصرية وغربية) دفاعا جاوز حد الانصاف الى التعاطف . ولم يتخل
عن موقفه هذا حتى فى حديثه عن (اتفاقية السودان) التى وقعها
بطرس غالى سنة ١٨٩٩ والثى حاول خصومه تحريف واقعها
ضده فى شبه اجماع على تحميله وحده وزرها الذى صنعت به بعد
هذا أحداث عدة وملابسات وأوضاع تلت توقيعا .

لم تعرف مصر التفرقة الدينية . . . لقد خدعها الاستعمار يوما
عن حقيقة قدرتها فأوهمها أنها بلد زراعى ليصرها عن الصناعة
ويستيقها سوقا لمنتجاته ولكنه لم يستطع أن يخدعها عن حقيقة
قيمها فانهزم فى كل مرة حاول فيها الوقعة بين أبنائها مسيحيين
ومسلمين فاتحدت ثورتهم ضده بعد الاحتلال وسنة ١٩١٩ وسائر
الثورات الشعبية . وظل الأتباط أبدا كما يقول الدكتور جمال حمدان
(كتلة رصيفة رصينة من صميم جسم الأمة) .

ان الاسلام حضارته اسلامية نسجتها وأسهمت فيها البلاد
المفتوحة خاصة فارس ومصر بسابقة الحضارة فيها . . .
والاسلام ينكر العصبية ويؤيد هذا الأستاذ صبحى وحيدة، وهو
مصرى مسيحى فى كتابه (أصول المسألة المصرية) .

كما يؤيد هذا اختيار الاسلام عواصمه الحضارية في دمشق
وبغداد والقاهرة .

لقد ناصبت مصر ، الرومان ، العداء حين حاولوا التدخل في
عقيدتها المسيحية أيام وثنيهم فقاتلتهم . وحين دانوا بالمسيحية
وحاولوا التدخل في الطقوس والعبادات ثاومتهم . وتمسكت برأيها
في هذا وأسلوبها فيه ، بل جنحت الى العناد فخالفتهم في الرأي
لمجرد المخالفة ، خالفتم لونا من المقاومة واعلان السخط
والكراهية ، لونا من التحدى واثبات الوجود . وكان لمصر كنيستها
الخاصة بها وبطريركها المنتمى اليها . مصرت مصر المسيحية
(واستخرجت منها نسختها الخاصة : القبطية) .

هذا حين لم يصدّم العرب ابا الفتح ، مصر ، في عقائدها
وتقاليدها فعاد الرهبان من صوامعهم في الصحراء الى مزاوله
وظائفهم الدينية السابقة ، كما لم يتدخل العرب في أسلوب الحياة
اليومية بعاداتها وتقاليدها المميزة بقيت كما هي الى يومنا هذا
في الميلاد والأعياد والوقاة نمارسها الى اليوم مسلمين ومسيحيين .
فليلة الحناء والصباحية والنقود والسبوع وكعك العيد المنقوش
وكانه قرص الشمس الذى اتخذه أخناتون شعاعا ... كلها عادات
مصرية قديمة .

ان مصر تهتم بالجواهر لا بالتفاصيل .. ونحن المصريين اليوم
نتبادل زيارة الأولياء والقديسين دون شعور بالتفرقة أو
التعصب ... كلها في نظرننا مزارات .

بل اننا كنا في القرون الاولى من الفتح نتبادل (قناديل)
الكنايس وجامع عمرو عند الاحتفالات الدينية .

وهناك أعياد تجمعنا معا أمة واحدة كما كنا قبل الأديان فعيد
الربيع ووفاء النيل . وليلة النقطة ... كل هذه أعياد مصرية قديمة
صاحبتنا مع الزمن وصاحبناها الى يومنا هذا .

ان جوهر الدين في مصر ، في كل عصورها ، واحد . فالوثنية المصرية القديمة في جوهرها الأصلى ادراك للخالد خلال العابر وقد وصل الخاصة عندهم الى التجريد والى فكرة الاله الواحد . .

وعلى الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية اللتان تأثر بهما الاسلام وأقرهما . . . وان مصر حين دانت بالمسيحية نائما دانت بها لانها تعبر عن ضميرها بل ان الديانة المصرية القديمة في آخر عهدها أوشكت أن تكون مسيحية قبل المسيح بها نزعت اليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يئست من العالم الخارجى وآضت الى الصحراء ، وآوت الى العزلة للتأمل والتبتل . فمصر في عهدها القديم عرفت النسك كما سنت الرهبانية في المسيحية وعنها انتقلت الى أوروبا أجل منحة أهدتها المسيحية المصرية الى المسيحية الاوربية بل يرجحون أن تكون طبيعة مصر هي التي أوحى الى اليهود بعبادة الثنوك فالصحراء في مصر شديدة القرب من أى شخص يريد اعتزال العالم .

واذ تأصل في مصر هذا الطابع لعبت دورا كبيرا في التصوف الاسلامى شهد به ماسينيون وبركلمان حين أطلقا على (ذى النون) واضع الحجر الأساسى في صرح التصوف التيوزوفى الاسلامى .

وتؤيد هذه المصادر الاسلامية ومن بينها الرسالة للقشيري والطبقات للشعرانى والكواكب الدرية للمناوى وحلية الأولياء لابى نعيم الاصبهائى واللمع للسراج الطوسى وكشف الحجب للهجویری وكذلك الرازى والترمذى . . . جميعهم اتفقوا على أنه وحيد دهره علما وعبادة ومعرفة وأدبا .

وكان ذو النون كثير الملازمة لبريا اخميم وهى بيت من بيوت الحكمة القديمة . وهنا يلح الأستاذ الخولى الوراثة المصرية في حياة ذى النون وأسلوب تفكيره .

لقد جاء الاسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر اليها بصورة ما بالفطرة السليمة والدفع الحضارى معا ... ان الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل أن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية في أصلها الى معبودات مصرية ... ليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلدته من أهرامات ومعابد بها عليها من نقوش وتلوين وما ضمنه من تماثيل ... ليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصرى ؟

يقول الأستاذ عبد الحليم الجندى في كتابه (الامام الشافعى) ان قدماء المصريين (هم أول من فحص أحكام البيع والشراء وواجبوا الكتابة أو الاقرار لاثبات ما ينشأ عن العقد المكتوب ، وحرموا زيادة الفوائد على ثلث رأس المال في السنة وعن أصل الدين مهما طال الاجل ، وحرموا الريح المركب ، ومنعوا اسنرتاق المدين للموئء بدينه ... بل أن ما فى الألواح الاثنى عشر ذاتها ، من ثائون طبيعى كان تقليدا لمصر) .

ومن الطريف ان مصر قبل الاسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ (مسيت) هيئة خنزير وفقاً عين (حورس) فحرمت الديانة المصرية اكل لحم الخنزير .

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب (الحضارة الطبية فى مصر القديمة) « أمر ليس بالغريب خاصة وأنه نابع عقائديا » ويقول هذا الكتاب ان (النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القومية) ...

يقول د. ١. ل. كويلاند: (بلغ المصريون شأوا من الانسانية

السحرة لا يرقى اليه الشك ، واذا نحن قسنا المصريين بمقاييس عصرهم إلفيناهم أقل قسوة من غيرهم ثم هم كانوا مشغوفين بالنظافة) .

وهكذا كان الاسلام كالمسيحية فيه الكثير من مألوف مصر . لقد وجد الاسلام في مصر جواً مهيأً ... ولأمر ما تأصل الاسلام في مصر تأصيلاً لم يبلغه في مكان آخر حتى ان مصر هي التي دافعت عنه في مواقعه الكبرى وقامت له فيها أقدم وأكبر جامعة اسلامية .

التقوى الحقيقية عند مصر هي **الحب** ... حب الله وحب المعنى .. وحب الانسان .. وحب الحيوان ... وحب الأشياء .

ان التعاطف مع الانسان والحيوان والأشياء المبتوثة صورة ورسومه في لوحاتهم رمزا للطيبة والودادة التي تصادق كل شيء ، رمز ايمانهم بوحدة الوجود قبل الفلاسفة والمتصوفة وأصحاب النظريات لا باعتبارها عرفاً واصطلاحاً ، بل باعتبارها كما يقول الأستاذ حامد سعيد ، موقفاً تجاه الحياة تتحقق فيه قيم ومشاعر الرواقية والمسيحية والصوفية والبطولات النفسية دون أن تكون واحدة من هؤلاء بالذات) .

التقوى الحقيقية عند مصر تتمثل في .. **الفن** . حين جُسمت عقائدها في الروح والبعث والخلود وأهرامات ومعابد ونقوشها وهكذا كان الفن عند مصر مدخلاً الى الدين حين يفهم عباد النصوص من للدين معنى الخوف من العقاب والرهبة من الحساب والفرع من النار ... وقيمة التمسك بالدين في رأيهم هو التعصب له !!

وفي الفن المصري تعانق الاسلام والمسيحية لانهما معاً ينبعان من الفن المصري القديم . وفي مكتبة جونا كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق في كتابه (الفن المصري الاسلامي) « في مدينة ميونيخ رق يتضمن صفحة من القرآن بها زخارف بسيطة واشربة

تفصل بين السور بعضها وبعض تتضمن زخارف هندسية متأثرة
بالفن القبطى الى حد بعيد . »

ان جلود الكتب فى العصر الاسلامى انما يحدد تاريخها الكتابة
القبطية الموجودة على أوراق البردى المستعملة فيها .

وليس البردى وحده أو زخرفة الكتب ، بل أن التقاليد القبطية
فى زخرفة الخشب استمرت سائدة بعد الفتح العربى . . ويضم
المتحف الاسلامى الكثير مما يجمع بين الزخارف القبطية والكتابة
العربية .

يذا يشهد المسلمون . . . وبروعة الزخرفة الاسلامية يشهد
المسيحيون ، فالاستاذ بشر فارس فى كتابه القيم (سر الزخرفة
الاسلامية) يقول (ما احسبك تلقى ملة كبيرة تحضرت فانسيت
باللطيف والدقيق من العمران ، تسلم سكتاتها لأسرار دينها ،
وتوثق اشاراتها بأحكام مفروضة ، فوق ما أسلمت الملة الاسلامية
وأوثقت) .

ومضى يفسر الزخرفة الاسلامية مستلهما روح الاسلام بما يشهد
بتفوقه فيه كبار الفنانين المسلمين .

لقد استعان العرب بقبط مصر ، خارجها أيضا فاستعان بهم
الوليد فى بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى وقصر أمير المؤمنين ،
ويضيف « البلاذرى » فى فتوح البلدان مسجد المدبنة فيما أعانوا
عليه . وكان الوليد يترسم خطا أسلافه الذين استعانوا بأقباط
مصر فى إعادة بناء الكعبة قبل الاسلام . . وكان مصر منذ بنى
ابراهيم واسماعيل بن « هاجر » المصرية ، الكعبة آلت على نفسها
أن يكون البناء على يديها فعادت الى بناء الكعبة أيام الظاهر
بيبرس ، وفى العهد العثمانى ، وفى عهد محمد على .

ان أقباط مصر هم الذين بنوا أول محراب مجوف في الاسلام على مثال من حنية الكنيسة كما تأثر بفن مصر المسيحية في الزخرفة والبناء قصر المشتى في شرق الأردن الذى يلجح السدير الابيض والدير الأحمر بسوهاج . ومن عطاء مصر للفن الاسلامى بعمد المحراب : المئذنة والقباب . جاء في كتاب فن مصر خلال العصور :

(ان فناء الاسكندرية الذى بهر الغرب عند فتح مصر ، هو الأصل الفنى للمئذنة) .

ان السموق الذى يزهو به النخيل المصرى ، يتبثل في عمود المعبد والكنيسة ومئذنة المسجد معا وكأنه شوق الى أعلى وتوق الى فوق .



لقد نهض المصريون أقباطا ومسلمين في العصر الفاطمى — وهو العصر الذى يعتبره المؤرخون نقطة تحول في تاريخ مصر من الناحية الدينية — بالفن الاسلامى المصرى نهضة فيها من احساس مصر ووجدانها وذوقها الحضارى ما أضفى على فن مصر الاسلامية طابعا مميزا. وشخصية فذة حتى أن بعض آثاره كمشهد الامام الشافعى يعد كما يقول الدكتور عبد العزيز مرزوق منعدم النظر في مصر بل وفي العالم الاسلامى أجمع .

ومن هذا المستوى مدرسة السلطان حسن التى أشاد بها الرحالة من شرقيين وغربيين وفي مقدمتهم المقرئى .

يقول الأستاذ محمد شفيق غريال في كتابه (تكوين مصر) ، (ان طرائق الفن القبطى وأساليبه كانت عاملا من العوامل المؤثرة في فنون مصر الاسلامية وصناعاتها وهذا دليل آخر على أهمية العنصر المسيحى في تكوين مصر) .

لقد تعانق الاسلام والمسيحية حتى في علوم اللغة والدين .

فمن (ورش)، المصرى القبطى الذائع الشهرة فى علم القراءات
أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق بن عمر بن
يسار المصرى .

ومن رجال مصر من الأقباط الذين أسهموا فى التأليف فى علوم
العربية وآدابها :

سعيد بن بطريق ، وبنو العسال وجرجس بن العميد المعروف
بأبن المكين صاحب كتاب (تاريخ المسلمين) والمفضل بن أبى
الفضائل صاحب (نهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن
العميد) .

وبطرس أبو شاعر ويعرف بأبن الراهب .

وابن كبر وهو شمس الرئاسة أبو البركات .

وأسعد بن ممتى الشاعر الأديب صاحب الحظوة فى الدولة
الأيوبية .

ان مصر لم تعرف الفتن الأهلية الدموية كالتى وقعت فى إنجلترا فى عهد
شارلس الأول وانتهت بقتله ، والتى وقعت فى فرنسا فى عهد لويس
السادس عشر ولم تنته بقتله فقط بل اشتد ظمؤها للدماء فاستباحث
الثورة عليه ، القتل ، حتى أتت على أصحابها أنفسهم . وما تخلل
هذا كله من مأس فصلها الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (ديوان
التحقيق والمحاكمات الكبرى) .

لم تعرف مصر الحروب التى دارت بين المدن اليونانية . ولم تعرف
مصر محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق وما وقع فى أسبانيا من
الأحداث الدامية بسبب التعصب الدينى من أناس يدينون بدين
الرحمة والمحبة والخير .

ان من يقرأ محاكمة الليدى جان جراى ملكة انجلترا يتبين ان الدافع القوى على اعدامها هو كونها بروتستينية حين كانت الملكة مارى تيودور التى حاكمتها كاثوليكية !! . لما التعلات الأخرى فمارى تعلم جيدا أن جان جراى ذات السبعة عشر ربيعا لا يد لها فيها ولا مطمع لها ، كان ، فى العرش .

لقد عرفت مصر حياة الدين ، ولكنها لم تعرف التعصب فى الدين
أو الضغن بسببه فسلم الدين فيها كما يقول الأستاذ العقاد — فى كتابه عن (سعد زغلول) — (من لثة العصبية العمياء وتسوة الهجية الرعاء وسلم تاريخ مصر كله من المذابح الطائفية الا أن يتسلل اليها من طائفة غربية أو نطه دخيلة) .

حدث فى القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والنحل واشتد الخلاف بينها فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقي الدين السبكي ليوافق بين المذاهب الأربعة .

واذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصريا فقط فى هذا الشاهد فاننا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرانى ، وهو أصيل فى الفقه فضلا عن كونه صوفيا من الطراز الأول . وقد حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا ..) .

لم تعرف مصر التفرقة حتى فى الخصومة ... لقد كان جيش سبكي الأول يتكون من ثلاث فرق .. فرقة (آمون) وفرقة (بتاح) وفرقة (رع) فلما جاء رمسيس الثانى أضاف اليها فرقة (ست) . وفى هذه الاضافة دلالة بعيدة المدى (فسدت) هو الذى قتل أخاه (اوزوريس) معبود مصر والذى يرمز الى النيل والخير والخصب ولكن

عند الخطر تذوب الخصومات ، ويشترك (ست) في السدفاع عن
الوادي بل أكثر من هذا هناك على جدران المعابد صور تجمع
بين أيزيس نفسها وبين ست يرفعان معا شيئا واحدا . 11

يقول الأستاذ العقاد (ينقض التاريخ كل ما يقال عن النفرة
بين عناصر الوطنية المصرية . . فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين
والمسيحيين سواء في تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء
وهؤلاء في الاصلية والقدم عند الانتساب الى هذه البلاد) .

ويقول الدكتور سليمان حزين في بحثه عن (سكان مصر
ودراسة تاريخهم الجنسى أن الطابع الجنسى العام للمصريين
قد وحدا واتخذ صورته المميزة قبل أن يكون هناك أقباط ومسلمون .

رحم الله الشاعر ولى الدين يكن حين قال :

ابنى المسيح واحمد انتبهوا	ودعوا رجالا منكم هجموا
أرواحكم من بعضها قطع	وجسومكم من بعضها بضع
لاتحسبن خلافكم ورعا	ان ائتلافكم هو السورع



ويعمد المفاهيم الثابتة نأتى الى مفاهيم بل قيم شريفة في
حياتنا ولكننا أخطأنا فهمها ، فأخطأنا بدوره ما فيها من اضافة
وثرء

اول هذه القيم الرفيعة : الدين .

الدين

الدين أى عبارة الداخل ولا أقصد بالدين حرفية النصوص والطقوس فالدين ليس تسليماً ذهنياً أنها الدين بيدى الحياة ... أسلوب حياة .. موقف دينى يفسره أسلوب السلوك .

الدين كما يقول بزتراند رسل وهو فى نظر الكثيرين ، خارج على الدين ، كلمة لها معانى كثيرة وتاريخ طويل .. ومن الناس متدينون دون أن يكون فى طبيعتهم أى شئ يستحق أن يسمى ديناً فهم خليو البال من التاريخ أو الخبرة الانسانية التى تجعل للطقوس منهم قيمة ١٠

ان الناس يصدرون فى أعمالهم عن أصول ثلاثة متقاربة وأن كانت متميزة : الفريضة ، العقل ، الروح .

وحياة الروح بين الثلاثة هى التى تصنع الدين .

وما يتبع حياة الروح ، الاحترام والعبادة والامتنان للبشرية والدينونة لها ... وأعق من هذا، يستكن الاحساس بسر لا نعلم غير شطر منه .. سر حكمة مبهم ومجدخاف لرؤية متغيرة الصورة تلقد فيها الأشياء أهميتها الثابتة حتى لتصبح قناعاً رقيقاً نرى خلفه الحقيقة القصوى لهذا العالم ... فمصدر الدين أمثال هذه المشاعر التى لو قدر لها أن تتلاشى ، لتلاشى من الحياة خير ما فيها ...

لقد قاست الروح من الجمع بينها وبين الدين التقليدي
ومن عداوتها لانكار الذات أى السلبية التى يتهم بها الجاهل ،
المسيحية ؛ لأن الروح تقدس الذات وترفعها وتعيد بناءها .

حياة الروح يقينية بقدر ما هى قادرة على اغناء الوجود الفردى
... انها تمنح بهجة الرؤية .

ان سمة القداسة الفرحة .

البشر ايناس .. شعاع من الرحمة .. عطاء من الحب ..
خصب حتى ليقول الشاعر البسيط :

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

ولأمر ما سميت الانسانية ، بشرية

والى البشر نسيب الله نجاح الدعوة الاسلامية (ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ولهذا كان أقصى وأقصى عتاب للرسول الكريم الآية (عبس
وتولى) .

هل جرينا مرة أن نرسم قرن الخروف مثلا ؟ وأن نرسم المحارة ؟
وهل لاحظنا الشبه بينهما ؟ ان الجزء الأعلى من المحارة يشبه
القرن ولكن الفرق ان القرن فى حركته المنحنية يعتمر نفسه من
العذاب ثم لا يزيد فظل جزءا من حيوان . حين تجتاز المحارة
مرحلة العذاب الـ twisting هذه وتنتفح على البحر ... البحر
الكبير الواسع فاحتوت أغلى ما فيه ... اللؤلؤ ... وصارت هى
وما تحتويه متعة وزينة و ثراء كبير ...

فليس من الدين اذن الكتابة أو الدروشة ، والمخرقة ، والعجز .
والحرمان .

ان الروح تحرر أولئك الذين يثابرون عليها من سجن العاطفة الشخصية التى تعكف على الاهتمات الدنيا .

هذه الرؤية تمنح الحرية والجمال والحب لأفكار الانسان ولعلاقته مع الآخرين .

انها تهيبء الحلول بشروطها

انها تعيد الانسجام بين العقل والغريزة

وترد الشارد الى مكانه من حياة الانسان

ان السعادة والسلام لا يمكن أن يعودا الى هذه الدنيا الا عن طريق الروح .

لقد كان « نيتشه » غريزة قوية وعقلا جبارا . ولكنه افتقد لمسة الروح،فقضى سنينه العشرة الأخيرة في مستشفى الامراض العصبية.

ان مشكلة فلسطين لا تحتاج الى ذكاء يدرك عدالتها ومع هذا هي مشغلة الأذكىاء من أقطاب العصر لانهم أذكىء العقل لا القلب والروح .

يتساءل « اقبال » هل الدين أمر ممكن ؟

في رأيه أن الدين تجربة ... تسعى صادق صحيح يحمص مستوى الانسان. انه تجربة ، كالعلم سواء بسواء ، في محاولة كشف الذات بوصفها فردا، أعبق من نفس الفرد العادى القابلة للوصف التصورى .

واذا نظرنا في كتاب The View of Life الذى ألفه رادها

كريشنا والرجل من أصحاب النظرة البانورامية الى الثقافة البشرية، وجدناه يعرف الدين بأنه أمر داخلى وشخصى يوجد رابطا كل القيم

ومنظما عضوميا لكل الخبرات .. انه استجابة (كل) الانسان
(لكل) الحقيقة .

فليس الدين الرؤية الخلقية محسب .

وليس الدين الرؤية الصوفية محسب .

وليس الدين شكلا من أشكال المعرفة كما يقول هيجل ، والدين
ليس مجرد ظاهرة اجتماعية .

عرف وايتهد وهو أستاذ برتراند رسل ، الدين ، بأنه أمر
توحدى فإذا لم تتوحد على الإطلاق فليست متدينا على الإطلاق .
فالدين هو ومى الانسان بفرديته .. بقيمته الانسانية
الشخصية ...

هذه نظرة الهند الى الدين .

أما الصين فتقول بالتاو .

والتاو عند الصين يستحضر فى الضمير ويتوحد معه . وهو صفاء
ونقاء ينبع عنه الانسان الطيب الفاضل .

وكما تتطلب التجربة العلمية التجرد من العواطف الشخصية
لتحقيق الموضوعية ، فان التجربة الدينية تتطلب صفاء النفس
لتحقيق الرؤية البعيدة التى تتكشف الحقيقة .

يقول لاوزا (٤٠٠ سنة ق.م) حكيم الصين و (لكل قوم هاد) :

(قبل أن تخلق السماء والأرض ، كان شيئا بلا صورة ولكنه
كامل .. صامت .. خلاء .. لذاته كفاء .. لا يتغير .. قادر على
التحرك فى كل اتجاه ولا ينفد .

انه أم او أصل لكل ما تحت السماء أو على الأرض .

نحن لا نعرف كيف نصفه .

كيف نسميه على وجه التحقيق .

ولكى نكتب عنه نسميه (التاو) .

وإذا كان لابد من وصفه فنقول الأكبر والاسمى يغذى كل الأشياء ولا يتعالى .

غنى عن الجميع .

ولما كانت كل الأشياء له بلا ادعاء فهو الأكبر لا يستدعى وتأتى اليه الأشياء تلقائياً .

وحكمة الصين حكمة بلد الخزف الذى أخذ اسمها فى كل مكان وبلد «صينى» . حكمة قوامها الماء والائناء ... الائناء الذى تقول عنه الصين انه (لولا الفضاء من الهواء داخله لما انتفع به الانسان) إشارة الى التجرد من الأهواء الشخصية .

أما الماء فيتمثل حبها له فى لمسة الريشة للحرين .

ولمسة الخزاف للائناء .

ومن حبها الماء تنحدر حكمتها مترققة تقول (كن كالماء تنزل من السماء لتستقر فى منخفض بئر أو مجرى ماء) فى محاولة للحث على التواضع .

هل خرجت هذه النظريات كلها والأقوال جميعها فى مضمونها عن معنى الخير ؟

ليست المسيحية يوم الأحد ولا الإسلام يوم الجمعة ... الدين تيمة يحققها المتدين فى حياته ... يظلم المسيحية من ينسب اليها ذلك الذى ألقى قنبلة على هروشيما . وهنا نفهم سر تفريق

الغزالي بقلبه الرهيف بين العلم بالقيمة قبل الاتصاف وبعد الاتصاف
أى عن معاناة ذاتية وخبرة داخلية وهو يقصد الاتصاف بالصدق .

اننا نهوى أن نتكلم عن الأديان في تضايها العقلانية .. مثلا :
واحد أم ثلاثة أقانيم ! لنُدع هذا فان عز المسيحية في موعظة
الجبل . هلا قرأنا الى جانب القرآن الكريم ، انجيل متى خاصة
الاصحاح الخامس والسادس ...

ان التدين الخارجى .. تدين الطقوس كالثقافة الآن ...
حلية ... مكتبة . لكن ماذا دخل من هذه المكتبة في كيان صاحبها
والى اى مدى وصل به الى ذرى القيمة .. الى الأفق الاسنى
والأسمى .

احتاج احد الصحابة عملية كى مؤلمة في موضع من جسمه
وكان يتهيأ . فأنشأ أحدهم متهللاً كهن وجد الحل ، بأن يتم الكى
وهو ساجد يصلى حتى لا يشعر به .

قد تكون القصة رمزية كما أرجح ، ولكن تبقى دلالتها وهى

الاستغراق .

ليس من الصلاة اذن الجهر والصياح والتظاهر بالتقوى رثاء
الناس واشتهاء المدح .

كان الحكيم المصرى امينوموبى يقول :

(صل من قلب مبتهج تظل فيه كل الكلمات مختفية فهو يصنع
ما أنت في حاجة اليه) .

الصلاة صلة ... خلوص .. خشوع .. استغراق كامل ..
كم من المصلين الآن يقفون على عتبة هذا الاستغراق ؟

والوضوء هو تحضير النفس للوقوف بين يدى الله ... وهو
أبعد من النظافة الظاهرة على قيمتها ... انه تطهير للحواس
كلها مما تكون قد أتته من مشاهدة الباطل ، أو قول الزور ، أو

مس المحرم ... انه غسل للنفس كلها قبل الوجه أو اليدين الى المرفقين .

ان قيمة محمد ليس في انه كان ناجحاً بالميزان الأمريكى اى تاجراً كاسباً ، ومتزوجاً من سيدة ثرية (سقع) ومحبوباً في مجتمعه ، ولكن قيمته انه بعد هذا اختار المطلب الشاق ، البحث عن الحقيقة ... فتعبد في غار حراء .. عزلة للتصفية والرؤية .. سياحة في داخل النفس ...

ان خلوده الى غار حراء من أجل الحقيقة يعلمنا أهمية العزلة الى جانب أهمية الاتيكيت في المجتمع .. لعلنا ان لم نصل الى الحقيقة فلا نل من أن نشارفها .

الحقيقة رؤية عندما يتطلع اليها الانسان يعطى عطاه ...
الفنان يدق الرائدة الفنية ، والفيلسوف يضع النظام الفلسفى ، والعالم يضع النظرية ، والحقيقة ذاتها من الكثرة والوفرة بحيث تعبر الفلسفة والعلم والفن والقصة والمسرحية وسائر الألوان ثم يبقى منها غزير لا يدركه الادراك .

وهنا ندرك قول اينشتين بأهمية الخيال .. فالخيال شوق الى الحقيقة . وبالطبع أقصد خيال الرؤى لا خيال التوهيمات .

وقد انتشر الاسلام بالخيال الذى هو ايقاظ النفس الى الحقيقة .. الى الجوهر ...

(أينما تولوا فثم وجه الله) .

فرؤية القرآن لله ، رؤية محيطه . ان القرآن الكريم حافل بالصور ولكنها ليست للتصوير الحسى ... انها رؤى مبتدة . يقول الله تعالى : (كلمة طيبة كشجرة طيبة) كيف تصور هذه الآية ؟

وقبل العلوم والفنون كان حوار رائع بين الانسان والحقيقة ..
تتغير وسائل البحث ويكون بينها ما بين منطق العلم .. والخرافة .
ولكنها كلها تسعى الى الحقيقة بأسلوبها .

والاسلام رؤية جديدة للحقيقة ، فحين تستحضر المسيحية ملكوت
الله في القلب البشري ، يستحضر الاسلام ملكوت الله في داخل
النفس وخارجها وما وراء المحسوس . وحين تمثل الفن الاسلامي
هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة وللحياة .

ان التوحيد ليس شهادة ببغاوية كما يفعل كثير من المسلمين ..
ولكن التوحيد ذروة من الادراك الوجداني والذهني ، فهو في العلم
أجماع وتوثيق ... وهو في الصحة النفسية يعنى تكامل الشخصية
... وهو في السياسة يعنى أن الكل في واحد .. وهو عند
الشعراء والفنانيين والمتصوفة يعنى وحدة العمل الفني .

ان الوحدة علامة القيمة .

وقد حقق الفن الاسلامي الوحدة في تنوع ... كما أن روائع
بصر القديمة شاهدة على التوحيد والتنزيه ولكنه تفكير الخاصة
كأخاناتون والفنانيين وهذا يدل على أن الاسلام دين الفطرة
السليمة في كل زمان ومكان .

الاسلام دين الفطرة ... فالفطرة السليمة تهتدى اليه بلا
نصوص كما فعل حى بن يقظان ... لقد شرح ابن طفيل المسألة
مقلانها ولكن التجربة الدينية التي أريدها ، بصيرة ... انفتاح
لا يعادى العقل ولكنه أبعد منه مدى ... انفتاح يرى الخلد لا يعنى
استمرار الزمن ولكنه يعنى ما وراء الزمن .

الصلاة صلة بين الله والانسان وهى في الاسلام تطهير للذات
وانفتاح بها للتور .. ورفع اليدين في الصلاة استشراف الى العالى .

الى السامى فى عملية مجاهدة وخلوص ... وهذا يفسر
الآية الكريمة :

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لماذا ؟
يفضل هذا النور .

ومن توفيقات العامية أنها تسمى negative الصورة
(عقرينة) لأنها سوداء معتمة . والشيطان أو العفريت هو عكس
الله نور النور .

يقول كارليل Karile فى كتابه (الأبطال) لو لم يكن محمد
فيه (حقة) صدق لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة
كلها ...

ولكننا بمواضعات عصرنا وواقع سلوكنا بعيدون عن التوحيد
... كل منا له هوى وكل منا يتخذ الهاه هواه وهى وثنية ..
الجاه وثن .. والوظيفة وثن .. والهوى وثن ... والشهرة
وثن ... والتعصب وثن ... ونحن نعيش فى هذه الأوثان على
الرغم من الأديان حين يقول اندريه مالروا ... ان المستقبل
للدين .

الدين جميعا .. فالدين خير كله ... لقد درس الدز هكسلى
فلسفات الهندو وبوذا ومصر ويونان والمسيحية والاسلام وأخرج
من هذا كله بأن الكل يلتقون عند وحدة الوجود كما يقول فى كتابه:
Perennial Philosophy

ان الضلال هو عدم وجود معنى الوجود فى النفس

الدين حقيقة كبرى والحقيقة كالعروس ومهرها رياضة النفس
النظير من الشوائب والاهتمامات الصغيرة فى حياة كل يوم ...
فالله حين يقول عن القرآن الكريم (لايمسه الا المطهرون) لايقصد
(اللمس) ، ولكن يقصد اللمسة التى تشعل الروح وتسعد القلب
وتفتح للنفس آفاقا بعباد ...

وهذه اللمسة لا تتحقق الا بالصفاء فيتكشف لصاحبها المكنون
فبأذا به قد أبصر بعد أن رأى . وما أبعد الفرق بين النظر
والبصر ... لقد انتظر الصينيون بوذا طويلا ليعظهم فلما أقبل
عليهم رمع في يده زهرة ولكنهم رأوا ولم يبصروا ، اذ سألوه أن
يعظهم ولكنه صمت صمتا نبيلًا كما يقول الانجليز

He mentain a noble silence

ويسمون هذه القصة Sermon of the flower

قال الله تعالى لموسى (اخلع نعليك انك بالوادي المقدس
طوى ...) انها دعوة الى نظافة الروح والبدن حتى يستطيع
المرء أن يقترب من الرحبات العليا .

فسر الرازي القرآن في ٣٠ جزءا .. وذات يوم رأى في المنام
أنه دخل الجنة ، وانه سئل أعزف لماذا دخلت الجنة ؟ فقال على
الفور كأن الأمر بديهي :

— لأننى فسر القرآن .

فقال صاحب السؤال : لا ولكن لانك صبرت على ناموسة
وقفت على ظمك تشرب منه

وفي هذه دلالة كبيرة وعميقة . فان العطاء من أى حجم ولون
أقرب الى الله من تفسير القرآن ... والحرية اكبر من العطاء .
هذا هو معنى الدين .

تسريح كفك برغوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا



كان أحمد بن حنبل يحدث ابنته كثيرا عن الامام الشافعى على
انه الأمل المرجى والرجاء المأمول .

وذات يوم زار الشافعى ، الامام أحمد بن حنبل وبات عنده .
فلم تنم الفتاة وأطل فضولها كله وفضول النساء من عينيها ترتب

حركات الشافعى وسكناته ... وبعد ساعتين قام أبوها من نومه وتوضأ وأخذ يصلى الليل كله ونظرت الفتاة الى الشافعى فوجدته نائما أو هكذا يبدو ...

وفى الصباح سأل أبوها ، ضيفه ، الشافعى :

— كيف قضيت ليلتك .

— على خير ما يقضى الليل ... لقد حللت وأنا مستلق على ظهري مائة مسألة مما يهم المسلمين .

هذا هو الدين فى قيمته التى تعلو كثيرا على القيام والقعود ... ان الذى يشغل كثيرين من المسلمين اليوم هو (تنقض الوضوء)؛ مع أن هذه المشكلة الخطيرة يحلها كوب من الماء ... كوب واحد فقط يغسل به الوجه والكفان .. المكانان الظاهران والمعرضان لما يغسل من أجله والا فلماذا يفنى التيمم من الوضوء أحيانا ؟ ان المسألة اعداد ذهنى .

دعنا الأستاذ لطفى السيد ، وكان وقتئذ وكيل نيابة المنيا ، الشيخ محمد عبده فى طريق عودته من الخرطوم ... وحشد له علماء المدينة تكريما له . فاذا بهم يشكون له من الشكوى من متاعبهم فى العمل أى فى الوعظ والارشاد . فلما سألهم الأستاذ الامام ، السبب ، قال قائلهم :

— اننا نزيد ونعيد للناس فى فرائض الوضوء دون جدوى ... عبتا نقول لهم (يغسل الوجه من مثبت الشعر حتى أسفل الذقن ، ومن شحمة الاذن اليسرى حتى شحمة الاذن اليمنى

ولم يدعه الشيخ محمد عبده يمضى فى الكلام أكثر من هذا .. وقال قولته المشهورة :

— يا فضيلة الشيخ .. كل واحد عارف وشه من غير مساح ..
هندق للراجل حديدته في جبينه !!

ان البريرية ليست اللون بل التحطيم وعدم الانتاج .

وحين قدس الدين العمل ، حنبا على الخطأ الذي يعنى
« التجريب » . فليس من الدين الوعيد والتهديد بعذاب الآخرة في
الخطب المنبرية المحفوظة أو المنقولة من الأوراق الصفراء اليبالية .
فان هروينا الحاضر من المسئولية سببه تركيزنا على خطورة
الخطأ عند الأطفال في المدارس ، وعند الكبار في المساجد .. كل
خطأ عيب وخطر وجسيم . لذا ، ان الخطأ طبيعى ..
والتجارب والخبرات مجموعة أخطاء ... ولهذا فطفلتنا عندما يكبر
يخاف من المبادرة والعمل حتى لا يخطئ لانه طبع على جرم
الخطأ ...

هل سمعت قول النبی (ص) ، (من أخطأ فله أجر ومن أصاب
فله أجران) . ما معنى هذا الا أن يكون قد عنى جواز خطأ التجريب
والمحاولة والاجتهاد ؟

ليس لنا أن نخاف من الخطأ أو حتى الفشل . فما التجربة
والخبرة الا مجموعة أخطاء سابقة تعلم منها أصحابها ، الصواب .
وحين يعمل الانسان آمنا من الرهوت والخوف فانه يقبل على
عمله في حماسة وفرحة .

وسعادة المرء في عمله ، الطريق الوحيد الى الاتقان .. كان
يشرف على حفريات سقارة مدير يقول :

(عندما أسمع دقة الأزميل حزينة ، أعرف أن هناك خطأ في
العمل ، وعندما أسمع دقة الأزميل سعيدة ، من سعادة العامل ،
أعرف أن العمل مضبوط) .

اننا اذا قرأنا كتاب (بستان الرهبان) التقينا بهذه العبارة
(محبة التعبي عون عظيم) ... هنا نسمع صوتا مصرية ...
زرت يوما سقارة ومعى طفلى فنظرت الى نقوش المعابد
وسألتنى :

لماذا كل هذا الفن فى القبور ؟ وكان جوابى فى اختصار :
— انه حب الحياة لا الموت .

وحين زرنا معا معبد ميراوكتا ، أخذت تهول بين الحجرات
وتعد ببراءة ، حتى اذا فرغت من العد والاعادة سألتنى كالمأخوذة:

— ان بالمعبد ثلاثة وثلاثين قاعة مهلوة بالنقش واللون ...
هل تحتاج الجثة كل هذا المكان برؤاه وحلاه ؟ وصدقت ، ان المقبرة
عندهم لا توحى بالحزن .. انها متحف للفن يسعد الرأى . وتؤكد
اعتقادهم بوجود الروح .

ان الاحتفال بالعمل فى فرحة وغنائية ، ظاهرة يندر وجودها فى
من آخر ... وحركات العمل على الجدران ليست من نثر الحياة
بل هى من شعر المسرح أى « باليه » ...

ومن معجزات الحضارة المصرية أنها حققت هذا كله بأبسط
الوسائل .. وهو درس يجب أن نعيه لتعلم معنى الإرادة ، والعزم،
والطموح والاصرار ...

هذا هو الكفاح الذى نريد أن نطبع أولادنا على الايمان به
ليتسلم الشعلة جيل أفضل ، **يعيد كتابة التاريخ** .



ان الاعلام يركز على القيمة الاقتصادية للعمل وينسى دائما
القيمة الانسانية للعمل ... العمل المترع ببشرية العامل ...

أى حب صاحبه له ، لا العمل الذى تستطيع الآلة الاليكترونية
ان تؤدى أضعافه ..

• ان الخسارة قيمة •

فالذى ينكم اثناء العمل لا يعرف آداب العمل أو كرامته ..
آداب العمل هو الخلوص له . والخلوص نقطة لا ترى ... نقطة
تلاقى الكيان الانسانى بمذخوره ، مجعما ، فى سن القلم أو الريشة
عند ملاستها للصفحة أو اللوحة .

• هنا يكون العمل عطاء قلب ... وفيوض روح •

ان العمل الحديث لم يستأنس بعد ... انه يضى على الانسان
خيرات مادية ولكنه يسلبه انسانيته ... أى يحوله الى آلة .

لا استغناء عن الآلة .

لا اعود الى الوراء .

• ولكن ما نريده هو استئناس وتصحيح للآلة •

لقد قتلنا .. كما يقول هكسلى ، « الكرافت » أى الصنعة
اليدوية ، أى فن توليد الحب •

اننا الآن نشيع اللاحب فى الحياة الحديثة أى « الآلية »
الحاسيب الاليكترونى حين يحرر الانسان من الأعمال الصغيرة ،
مقبول كما حررت المطبعة ، المؤلف ، من النسخ .

ولكن العقل الاليكترونى حين يلغى عمل الانسان أو يطفى عليه
مرفوض . ان العمل ايمان •

ونحن حين نتهم الشباب بقلة الايمان ، نفسى ان السبب اولا ،
قلة العمل .

لماذا كانت حضارة مصر دينية ؟

لانها عملت غذائت حلاوة العمل فارتبطت بمعنى الكون .. ولهذا

تجد أشد الناس إيماناً ، الزارع ، حتى ولو كان أشدهم تخلفاً
أو فقراً لأن الزارع يحنو على الأرض ويحننها ويستولدها



الدين يأمرنا بالنظر في ملكوت السماء والأرض في محاولة لقراءة
الأمكار ... أفكار الناس أقصد وأفكار الأشياء ... ان الدنيا
عواالم شتى وليس عالم الانسان بأوحدها ... هناك عالم الحيوان
وعالم الحشرات ... هناك عالم الأملاك وعالم البحار اما مملكة
النبات فعالم رائع له عقل كلى كما يقول اخوان الصفا .

حتى الفضاء ليس خلاء كما يبدو للعين المجردة .. انه حقاً
نشاط .. وهذا النشاط عندما نتلقاه بحواسنا البشرية ، يبدو
الوانا مختلفة ، وممرثيات ... فزرة السماء ليست فيها ، ولكن
في عيننا بتركيبها ووظائفها وخلاياها .. تماها كما نقول ليس الالم
في المطواة ولكن في حركتها من جسم الانسان ...

يقول الدكتور حامد جوهر في مجلة المجمع العلمى ، انه مصر
البحار لا الفضاء . هبهم وصلوا الى الشمس فليس هذا الوصول
أصاق الفضاء ...

انه كما تنبش دجاجة في الأرض وتحسب نبشها «بحثاً جيولوجياً»

يقول الدكتور محمود خيرى على ان قطر الشمس يعادل ١١٠
مرات قطر الأرض واذا ذكرنا طوله بالكيلومترات المعتادة فانه
يبلغ مليوناً وأربعمائة ألف . وان حجم الشمس بالنسبة للأرض يبلغ
مليوناً وثلثمائة وخمسة آلاف (١٣٠٥٠٠٠) مرة .

وهنا نقول : ما هى أمريكا أو روسيا بالنسبة الى الأرض ؟
ما هى الأرض كلها بالنسبة الى الشمس ؟

ذرة من غبار في مدينة الشمس لو ان الشمس مدينة .

ثم ما هذا كله مجتمعا ومتفرقا بالنسبة الى الله ؟
 قتل الانسان ما اكثره ... وما اجهله ... هل اوتى من العلم
 الا قليلا ... انه مارد اذا قيس بالميكروب الذى هو $\frac{1}{1000}$ من
 الملليمتر ولكن متى قيس الانسان او حتى الاشياء بالحجم ... ان
 القياس ، القيمة .

ان عصرنا يتسابق في محاولة اكتساب فضيلة علوم المسادة اى
 الطبيعة والكيمياء فاكسب الفضائل والردائل معا .

ان T. W. A لا تقاس بالطائر الصغير المهاجر الذى يطير
 مسافات شاسعة على جناحه الدقيق ... هذا هو معجزة القوة ..

ان فضائل علوم الحياة ، الايمان بالقوة الاعظم .
 التى تعطى من الطين الوردية والعنبة .

التى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل
 وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى .
 هذه وظيفة الثقافة

تصوى قيمة الدين وقيمة الحضارة
 ان المدنية كما يقول الاستاذ مريت غالى فى كتابه

Tradition for the Future تتطلب قبل كل شئ مجموعة من القيم ،
 والآلات لا تمت بصلة الى القيم . وما لم تكن المدنية عناية حقيقية
 برفع وتحسين الانسان لا تحسين الادوات التى يستعملها فلا امان
 ولا اطمئنان

أعرف أن الانسان مولع بالخيلاء يزدهيه النجاح والمال
 والشهرة ولكنه حتى اذا كان غنيا ناجحا مشهورا ، ضعيف ضعيف

والقوة لله وحده .. والعزة لله وحده أما الانسان فلن يخرق الارض ولن يبلغ الجبال طولا ... يقولون عن عصرنا هذا مره مصر العلم وتارة عصر الفضاء وطورا عصر الذرة ... الخ ولكن ما أطلقه الانسان في الفضاء وما اخترعه في الأرض ، صغير صغير الى جانب ما لا يحصى من عجائب مخلوقات الله ... ان دقائق التكوين في الحشرات التى يعتبرها الانسان أتفه الاشياءحتى ليستخدما في غضبه اذا اختار ، السباب ، سلاحا يشهره ! نىء مذل حقا ..

علام الغرور اذن ؟ ليت الانسان يرى أخوته في الانسانية ممن تهملء بهم المستشفيات ليعرف قوته الحقيقية .

ليته ينظر الى شجرة واحدة من ملايين الاشجار المنتشرة في الطبيعة ويتأمل روعة الخلق فى كل ورقة منها وكل غصن ... يته يسمع سيفونية الألوان فى روضة من الرياض أو موسيقى العبير ... ماذا يستطيع الانسان ازاء هذا كله ؟ قصاراه أن يقتلد وقد يتقن التقليد حتى تبدو وروده الصناعية وكأنها طبيعية ولكنها تظل بعد هذا ينقصها النبض والرفيف والشذى ... تنقصها الحياة .. أى ينقصها كل شىء ...

ليت الانسان يتأمل عالم النمل ... وعالم النحل ومواهب الصبر فيهما والتنظيم والاحكام ثم يصنع عالمه هو بما يليق بالفارق الهائل بين الانسان وسائر المخلوقات .

ليته ينظر كما قال المسيح الى زهرة الحقل ، انها لا تغزل ولا تنسج ولكن سليمان بكل عظمته لا يبلغ جمالها .

ان الذى ينظر الى الناس نظرة سطحية قريبة يجد فيهم موضوعا للتصنيف والتقسيم حسب الفروق التى تبدو لعدسته الصغيرة . ولكن أولئك الذين يرتقون الى قمة المعرفة ، يرون من فى السفح

اثباها اذ تدق الفروق حتى تكاد تتلاشى ... هل يفرق النيل بين
ابناء الوادى ؟ هل تفرق الشمس بين الناس أو حتى الشجر ؟
وكذلك البحر والليل ... وأهم من هذا كله ، الموت الذى لا يرحم
القبا أو اذنابا ... الكل أمامه سواء من تبارى الطب فى انتاذه ،
ومن لم يجد ثمن الدواء ...

ان الانسان الحر هو الانسان الموضوعى لا التابع .. وقد تكون
التبعية لفكرة ثابتة أو متحركة .. وقد تكون التبعية لهوى يحجب
الرؤية الكاملة .. وقد تكون التبعية لضيق النظرة فلا ترى الا الظاهر
القريب ... حين تطوى النظرة البانورامية المسافات والابعاد
والاعماق .

لماذا لا نعامل الفقير كما نعامل الامير ليشب أبناءنا على
التواضع من سحر القدوة ، لان الفقير قبل أن توزع الاقدار
الثروات ، انسان له المشاعر نفسها وله قلب وله أعصاب ...
له التكوين العضوى للانسان . فما يحبه الواحد من الاحترام
والتقدير والمحبة ، هو نفسه ما يتمناه الفاقد .. لانه ، أيضا
انسان .

ثم ماذا يعرف الناس عن الحياة ، وما قبل الحياة ، وما بعد
الحياة ؟ هل أوتوا من العلم الا قليلا ؟؟ وحتى هذا القليل قابل للشك
والنفى والاثبات والتعديل والتغيير .

ولكن الانسان المزهو بنفسه يحلو له أن يتعالم ويدعى التبحر فى
المعرفة ، ناسيا أن العلم وصل فى علمه الى أن عمر كوكبه
الارض ألفى مليون سنة ، وأن عمر البشرية من هذين الالفين انما
هو المليون الاخير ، أى أن البشرية (وارد حديث) بلغة الموضة ،
ترى ماذا يعرف المزهو بعلمه عن هذا المليون بل الالفى مليون الاولى
الا ليته يعرف ... لو عرف لأدرك حجم الكثير الذى ينقصه .

وهنا يحضرنا تساؤل الاستاذ العقاد عن رأى أول فجر في سماء الكون لاح ! .

كم شروق لم نره ؟ كم أصائل كم من الزهور نبئت ؟
ان الارض ومن عليها وما عليها ليست الا كوكب في المجموعة الشمسية وليست الارض بأكبرها ..

ان في جسم انسان واحد آلاف الخلايا الحية ... هل استطاع الانسان ان يخلق خلية واحدة ؟

ان قيمة الانسان فيما يعطيه وفيما ينفع الناس منه ..
لما بشرته ولون عينيه وفراة جسمه فائشاء لا تدخل السرور الا على قلبه الفرد حين ينظر في المرأة

وقد اكبرت الاديان (العطاء) .. عطاء القلب للحب ، وعطاء العقل للعلم ، وعطاء اليد للفقير ، وعطاء الوجه للضعيف ، وعطاء اللسان للتحية والتسليم والايئاس والودادة .. حتى الكلمة الطيبة صدقة .

واذا آمننا بالعطاء فان أحق الضعفاء بحناننا المريض والفقير ..
لقد بلغ الحنان على المريض ، بالحكيم المصرى امينوموى ؛ أن قال (كن مرضعا للمريض) كم في كلمة (مرضع) من أبعاد فيها من حذب وحنان ورحمة وعطاء وحب وعوم .

اعرف أن الانسان من طبعه يضيق بالمريض فخدمته شاقة وقد يكون مرضه منفرا ، والاقتراب منه في هذه الحالة ، عبء نفسى ..
فأى ملائكية تلك التى تمنح مثل هذا الانسان ، لا الرعاية فحسب ، بل فيوضا من عطاء القلب والروح ؟

أما الفقير فهو انسان مجروح مهمل بدا للعين سليما . فقد كان الاستاذ المازنى يقول : (الفقر في المال فقر في كل شيء) ..
والانسان الطيب الفاضل حقا هو الذى يوفر للفقير ، لا أقول

طعاما أو كساء ، بل يوفر له الكرامة والاحترام فلا يمتنعه أو
يذله بالإن أو التظاهر بالعطاء ، ويوفر له حياة فلا يعوزه حتى
يسأل .

ليتنا نتفقد بالفقر فلا نلبس عطاءنا ثوب الحسنة المتفضلة
بل نلبسه معنى الاهداء بوداده ورقته حتى تطيب نفسه بأخذه .

ليتنا نتجاوز عن دينه عندنا أو بعضه ... أو حتى نتجنب
طريقه المعتاد ومجلسه حتى لا يشكل وجودنا نداء صامتا أو
مسموعا يتقاضاه ...

ليتنا نعطي الإنسان ونعطي الأشياء أيضا فلها روح تبادل
وتتقبل ...

* * *

هذا عطاء القلب .. أما عطاء العقل ففي شجاعته .

من محفوظاتي في المدرسة قول شوقي :

أجد الشجاعة في الجسوم كثيرة ووجدت شجعان العقول تليلا
وحين أراد شاعرنا أن يزيد الأمر وضوحا ضرب المثل :

سقراط أعطى الكأس وهي منية شفتي محب يشتهي التقييلا
عرضوا الحياة عليه وهي ذليلة فأبى وأثر أن يموت نبيلا
ومن العجيب انه ، بعد صدور الحكم عليه ، استمر يتحدث الى
تلاميذه في ... الفلسفة ! لم يزايله هدوء نفسه ، ووثوق
لهجته ... ونظر تلاميذه اليه ، والى الكأس أمامه مملوءة بالسمر
الزعاف تنتظره ليشربها ، وقالوا :

— ألا تخضر نفسك ؟

فابتسم وقال : لقد عشت طول عمرى أحضر نفسي لهذه
اللحظة .. أى يموت فيلسوفا !

أسلوب موت .

بل أسلوب حياة .

ولكى نحكم على شخصية ، نعرف أولا موقفها من الحياة والموت . فلا تتعاطفنا مغامرات مصاصى الدماء و جار الحروب . فهذه شجاعة الجسم التى قد تفوقها ، شجاعه بهلوانات السيرك الذين يخاطرون بحياتهم ، على الرغم من ابتسامتهم المرسومة ، حين يسرون على الحبل أو السلك ، متعجلين يوم القيامة والمشي على الصراط .

ان الشجاعة شجاعة العقل حين ينصر الحق ، ويمعلن الرأى ، ويحارب الظلم ، فيقراط وجاليليو وذو النون والعز بن سلام والبويطى ، وقبل هؤلاء جميعا الانبياء ... ودعاة الحق هم الذين نسجوا من أيامهم حياتنا الفكرية والروحية ... حياتنا الحقيقية ...

ولكن اعلان الرأى غير التعصب للرأى ..

ان التعصب للرأى ، سذاجة .

ان الحقيقة لها أكثر من وجه فلماذا لا نريد رؤية الجوانب الأخرى للموضوع؟ قد تكون أقل ولكننا لن نضار فغالبا سنكسب جيذا ...

ليس من الدين أن نقطع الطريق اذن فى المناقشة على الآخرين بل ننصت جيذا ... وجادلهم بالتى هى أحسن وليتنا نحتفظ بالصوت الخفيض الهادئ عند احتدام الجدل فانه أعق أثرا وتأثيرا ، مستمعين الى الآلة (وأغضض من صوتك) ... ان الجدل ليس الانتصار كما يفهم معظمنا لاننا ولدنا أزهرين قبل ان ينشأ الأزهر ، ولكن الجدل اختصار ... ان الذكى من يعرف

كيف يختار رأيه ثم كيف يطرحه .. ويميت في نفسه ، شهوة الانتصار على الغير في مناقشة بنج بنجية تتقاذف الالفاظ فيها كما يتقاذف اللاعبون ، الكرة . فان قصاره في هذه الحالة أن يخلف في نفسه مرارة الهزيمة أمامه وما أغناه عن هذا النذير .. نعم فسوف يحفظها له ... وفي أى مناسبة تواتيه سينتقص من قدره ويهون من شأنه ليرد اعتباره أمام نفسه على الأقل .

المتدين والذكي لا يحترف الجدل فهواته خاسرون وان كسبوا .
ان السمع نوع من الكرم .. انه استقبال رأى ، واستضافة فكر جديد ... فكر آخر ... ان حسن التلقى فن .

المتدين لا يتعصب للون ، ولا يتعصب للدين نفسه ، ولا يتعصب للوطن ... تهمسك يديننا ونقدس وطننا ولكن التقوى غير التعصب ، والوطنية غير انكار الآخرين فهم أيضا مثلنا يحبون أوطانهم فلا ندع أعظم الفضائل الانسانية تغدو كما يقول V. H. Auden أسوأ العيوب البشرية ...

(لا يجرمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا ... أعدلوا هو اقرب للتعوى)

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

أرايت ان الله يدنى منه أعمتنا ايهاانا ، لا اشدنا جمالا ، أو أنصعنا بياضا .

(المؤمنون اخوة)

الناس كلهم اخوة لأن الاسلام اعترف بها سبقه من اديان وانبياء ... وهو اسلام من السلام . وحين عرف رسوله ، المسلم ، لم يربط حديثه من قريب أو بعيد بالطقوس ، بل قال (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وقال (الدين حسن الخلق) .

هذا هو الدين .

الدين دماء في الخطاب ورفق ... هل من الدين ما حكاه
الدكتور طه حسين في ، (الأيام) ، من أن شيخه ناداه ، وهو
الطالب الضعيف الخائف من الامتحان ، (أقدم يا أعمى) ؟

في اللغة الانجليزية حوار بين كفيف ومبصر يصف له الثلج نزولا
على رغبته قائلا :

انه أبيض كتوب الملائكة

خفيف كالفكرة

بطيء كما أقبل عينيك

... ..

هذه هي البلاغة الذكية ... فالوصف الذي يعتهد على الخيال
والمعنويات يسر الكفيف ولا يخرجه لانه وصف يستوى فيه المبصر
ومن أغلقت على النور نافذاته ... وصف لا يشعر بالحرمان ولا
كذلك الذي يطعن به

* * *

الدين جعل الأمر شورى فلا يستبد انسان برأيه ان منح
الثقة لمن حولنا يشحذ طاقاتهم لخدمتنا ... فليس من الرياسة أن
نحس أنفنا في كل شيء كذلك التركي الذي كان يوما وزير أوقاف في
مصر، فحتم على الوزارة أن تعرض عليه كل ورقة صغيرة أم كبيرة .
فكان يكتب على كل ورقة مهها اختلف الموضوع :

(يجرى اللازم حسب الاصول) . ولم يقل يوما ، ماهو (اللازم)
وما هي (الاصول) ! مجرد تحكم .

ان الرياسة شكل تنظيمي ولهذا يقول النبي (من) (اذا كنتم

ثلاثة أمروا واحدا منكم) وهو يعنى التنظيم لإ الأمر . والنبي يعنى بهذا ، أن الرئاسة اختيار لا تعيين .

دين وذكاء أن يكون الانسان مرنا متفهما رحب الالمق كبير القلب رقيق الحاشية يحترمه الجميع عن حب لا عن رهبة ... كان الشاعر الانجليزى كيتس يقول : (الشاعر لا شخصية له . فأنا اذا كنت فى مجتمع أطفال ، غلبتنى طفولتهم فأصبح بينهم طفلا . واذا كنت فى مجتمع سيدات ، أكون سيده . واذا كنت بين أشجار ، أكون شجرة) .

لقد كان « كيتس » فى هذه العبارة على الأقل ، رقيقا متواضعا ... فالذى قاله لا يعنى عدم الشخصية ولكنه يعنى العبقريه بعينها . . ما يقوله هو الطفولة الخالدة سمة العظماء . فالانسان العظيم هو الذى يملك قدرة الالتقاء مع الناس والأشياء ...

ولكن هذا الالتقاء أو القدرة عليه لا تعنى المسيرة الثامة ... أحيانا كثيرة لا يعنى اجماع الناس ، الصواب ... وهنا لا يتعاطفنا الاجماع لنمض فى طريق الحق . أقولها وأنا أعلم أن القابض على دينه كالتابض على الجهر ... قد يسخر الناس من المستمسك بالحق ، وقد يحاربونه ، ولكنه المنتصر فى النهاية . . وقد عاش سقراط خلال القرون ، ومات قضائته وقائلوه ...

نستطيع أن ننقد ، ونقول أقسى المعانى دون أن نسيل جرحا . . كيف ؟ هذه قصة :

تبتت سيده طفلا . وبعد سنوات رزقت اطفالا . . وبدا لها أن تحدد الموقف . فأخذت الجميع فى رحلة ، خارجا ، فى عملية شرح للنفس قصد بها الطفل المتبنى أولا ... وفى جو متهىء خلت بالطفل وقالت له :

— هل أستطيع أن أثمنك على سر غال ؟

وأشرق وجه الطفل لهذا اللون من الايثار . ونرح بالثقة
والمساواة . وقال في حماس شديد : نعم .

هنا : الت السيدة في هدوء وحنان وذكاء :

— اخوتك هؤلاء أعطاهم لى الله . وليس لى فضل فيهم ، أو فى
اختيارهم . ولكننى اخترتك أنت من بين الوفاء الأطفال . . .

وفهم الصغير كل شيء دون أن يدمى قلبه . . . بل أكثر من هذا
أنه غدا يعتز بدلالة الاختيار

الدين يعلمنا فن الصداقة حين يقول (لا تستوى الحسنة ولا
السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه
ولى حميم)

دين وذكاء معنا أن نتفادى العداوة ما استطعنا ، فهى تخريب
للنفس مهما كان الانسان على حق . ولأهون تخريب الخارج من
تخريب الداخل . . .

لنزرع الحب ونتعهد لىنمو ، ليس فى نفوس ابنائنا فحسب ، ولكن فى
نفوس الناس أيضا . وليس هذا بالأمر الصعب . فان القلوب
كثيرا ما يلين ثنائرها بالكلمة الحلوة ، أو الهدية البسيطة ، أو
السؤال العاطف ، أو الزيارة الحفية ، أو الدعوة الكريمة ، أو
حسن الاستماع ، أو اطراء ذوق الواقف امامنا اذا رأينا لذلك موصعا .
. . . وكلها أمور بسيطة لا تكلفنا كثيرا . . . وتكليفها على كل حال
أرحم من العداوة . . . اننا لانسع الناس بمائنا ولكن يسعهم منا
حسن الخلق . . .

أما اذا فرضت العداوة علينا فرضا فنقاوم ما استطعنا الغلو
فيها والمغالاة . . . ان الله حين قال باسم الله الرحمن الرحيم

فانما هو تأكيد للرحمة . وكان من الممكن أن يقول الرحمن العظيم
مثلا ، أو المنتقم الجبار ، ولكنه اختار الرحمة دون سائر أسمائه
الحسنى ...

حتى القاسى يستحق الرحمة لأنه محروم من النور ... نور
الحب ... القاسى ليس انسانا كاملا ... انه كسر انسان لانه
موتور مشروخ ... داخله شيء مكسور ... انسان غير سليم ...
لم يتكامل ذاتيا ...

وهل سنرى الرحم الا من الرحمة ؟ فالرحمة أساس الاخوة
والقرباة ...

والرحمة والمودة أساس الزواج وزاد رحلة الحياة .
انها رحمة أن يضاعف الاسلام الجزاء في الحسنة ويقتصره على
المثل في السيئة .

لقدكرم الله الانسان حين استهل القرآن الكريم بفاتحة تقتصر
من دون الموضوعات الكبرى على ما بين الله والانسان ، متوجسا
هذه العلاقة بالرحمة تظل الانسان بالطمأنينة من لدن (الرحمن
الرحيم) .

ما هو الفن ؟

انه رحمة ورفق وحب . وما أبلغ لغتنا الشعبية حين تسمى
الصبي المبتدىء (غشيا) ، لانه لم يكتسب بعد رفاة الاستاذية .
كتب مارييت عن الفراعنة ، أن عاملهم كان يقطع الحجر من الجبل
(وكأنه يقطعه من جلده) . وهى عبارة قد تمر عابرة عند القارئ
العابر . ولكنها عند المتأمل مقياس على عدم الاستخفاف والهدر ...
مقياس وشاهد عميق على الحضارة والرعاية والاحساس ..
الاحساس بالقيمة .. والاحساس بالأشياء .. ومن
هنا نفهم الآية (قوارير من فضة قدوناها تقديرا) .

لماذا تعد الاسرة أصلا من أصول الحضارة كالزراعة ؟ لقد
كسبت هذا الاعتبار بما يشيع فيها من رفق ورحمة ...

ومنذ قديم قدست مصر (الأسرة) حين أحبت أوزوريس وايزيس
وابنهما حورس .

ان بداية الحضارة البيت ... البيت المبني على الرحمة ...
وغاية الحضارة أن يكون العالم كله بيتا .. والبيت بهذا لا يقل
عن المعبد والكنيسة والمسجد . ولكن **الحضارة الحديثة عدوان على
البيت** بتلويث الجو بالدخان ، وتلويث الاطمئنان بالتنبلة
الذرية والنووية

الحضارة الحديثة خلقت مشاكل عملاقة ثم فشلت في خلق
الانسان العملاق الذى يحل هذه المشاكل .. فهل ننتظر هذا
الانسان من موطن الاديان في محاولة جادة مؤمنة لاعادة بناء
شخصيتنا ؟

لنسمع صوتنا للعالم المتحضر في دعوة كبيرة مصرية لحماية
الاسرة وتقاليدها ...

ان كل وسائل الحضارة الحديثة بقدر ما فيها من ترفيه واسعاد
للانسان بقدر ما فيها من مضار ان لم يقف وراءها وعى كبير
ناضج يميز الفروق بين خيرها وشرها . فان هذه المدنية ما زالت
كما يقول الدكتور أحمد زكى (تجربة يمتحن بها أهلها ، كما
يمتحن مقتبسوها . وان أهل الغرب في محنة منها ، بالذى تأتى
به من ضائقات وأزمات ، ومن حروب ، لانها مدنية لم تبلغ بعد الغاية
منها ، وبعض أهدافها قد تحقق ، وسائر أهدافها ينتظر التحقيق ...)

على أنها بعد هذا مدنية انسانية عالمية أساسها تحرير الفكر
الانسانى من قيوده ، وغايتها رفاهة الانسان واسعاده) .

وهكذا كما نرى المسألة مسألة تمييز بين الفروق دقيق .
ان مهنتنا شاقة ومتشعبة .

ان النصوص الدينية تعاني من الحصانة المحوطة بها .

ذهب رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله في أمر
أحلال هو أم حرام فأرشده ... ثم ذهب اليه مرة ثانية وثالثة
وهو يجيبه .. ثم توالى سؤال الرجل للرسول عن الحلال والحرام .
فقال بهلء حكمة أصحاب الرسالات كلمته الجامعة :

— استفت قلبك .

وهكذا نرى أن المسألة ليست الحلال والحرام، انما هي كما يقول
الشيخ شلتوت في تعريفه للمعروف : (هو ما تعارف عليه الفطر...) .
وبالتالى فان المنكر هو ما أنكرته الفطر ...

واذا كان هذا هو رأى ذوى البصيرة من أصحاب الدين رسلا
وعلماء فما بالنا فيها هو دون ذلك مما تواضع عليه الناس من
عادات وتقاليد ، أو مما وضعوه من قوانين ؟

الإنسان هو سيد الموقف دائما ... بايمانه واقتناعه وقيمه
ومبادئه .. فكم من جرائم ارتكبت باسم الدين مرة وباسم الوطن
تارة ، وباسم القانون طورا ، وباسم التقاليد حيناً آخر .

هل الذين عذبوا في محنة القول (بخلق القرآن) ومنهم رجلنا
« ذو النون » الذى سيق الى (المطيق) في بغداد .. هل هذا
من الدين فى شيء ؟

هل من الدين أن يحمل « البويطى » فى غل الحديد ويطرح
فى السجن مقيدا الى أنصاف ساقيه مغلولة يداه الى عنقه ؟

هل من الدين ما اعتزفه بعض البابوات فى القرون الوسطى من

تعذيب « غير المؤمنين » ؟ وهم أتباع رسول السلام والتسامح
والرحمة الذى وهب فى قلبه حتى « الخاطئة » ؟

أما السياسة فبحر من الدماء صبت فيه الثورة الفرنسية
وعهد الملكة ماري وهنرى الرابع فى إنجلترا ... كما صبت فيه من
قبل الدولة الأموية والعباسية الذى سمى أول خلفائها (السفاح) .

السياسة بحر من الدماء لعل أزكاها جميعا دم الشهيد ابن
الشهيد ، الحسين بن على سبط الرسول .

ومن العادات والتقاليد الأخذبالتأثر فى الصعيد .. ومن العادات
والتقاليد فى الهند دفن المرأة حية اذا مات عنها زوجها وكان من
العادات قبل الاسلام وأد البنات فى الجزيرة العربية .

فلا نجعل للعادات والتقاليد سلطانا علينا بغير حدود ولا نجعل
للقانون سلطانا علينا بغير مصلحة ظاهرة فيه لخير الناس ، فالذى
وضعه انسان يخطئ ويصيب ... بل لانجعل فى الدين وسيطا
بيننا وبين الله ... لنتجه اليه هو .. نستوحيه وحده ... وليكن
تديننا أملا فيه ، وعلما به ، وحبا لذاته أكبر كثيرا من الحلال
والحرام ... حبا ينكر فيه الانسان ذاته فيغدو فى شغافية « ابن
الفارض » الذى يقول :

(نفسى فداك عرفت أم لم تعرف) .

الدين سلام فى النفس وسلام مع الناس ... هو الهارموني
الذى ينتظم الأشياء ويستقر فى أعماقها ...

هذا هو الدين .

الفن

ومن الدين : الفن .

وهنا في هذا المكان من الدنيا ... نشأ من قديم، الوعى الدينى
وقام المعبد بفنونه كلها ... فن التشكيل وفن الرسم وفن التلوين .
وكان الفن أو هو كذلك ، تفسير للدين ومقدمة موسيقية له بما
يوقظ الروح ويفتح القلب لتلقى رقائق المعانى لتطرح فى النفس
وردا ... فالفن هو التقوى الحقيقية حين يفهم عباد النصوص
من الدين معنى الخوف من العقاب والرغبة من الحساب والفزع
من النار .

ان الفن يعلم الصمت كتأمل العابد لان متذوقه يترشفه فى سكون
واستغراق يسمع فيه صوت اللون ، ونبض الحركة ، وهفئة
النسمة وهى تحرك الغصن المرسوم . يسمع فيه المتذوق صوت
نفسه الآتى من داخله والذى يغطيه صخب الكلام وضجيج الحياة .

ولأمر ما لا نجد على المعابد المصرية التى تمثل ذروة حضارة مصر
فى عصور زهوها ، فهنا مفتوحا حين كان خلق الفن وإبداعه
يشغلهم عن الكلام، ويعبر عنهم بأصيح من الحروف والكلمات ...

ولعل السر في هذا أن صحراء مصر تعلم الصمت ... صمت التأمل ليعرف المصرى الواعى ذاته ... وينظم حيويتها ... وقد وعى القدماء هذا الدرس من الصحراء ... ولكننا اليوم نريد أن نهرب من ذاتنا فنهرج لعل الضجيج يريحنا من مسئولية معرفة الذات ولوازمها ، ومسئولية العمل معا ...

والفن الذى أقصده ليس ذلك الفن **العرضى** الذى يحيط الذات بوثارة من لذائذها وأحلامها كالف ليلة وليلة ، وإنما هو **الفن الخالد** الذى يحيط الذات بأفراح وسعادات بلا حدود لأنها وراء الجذود ... من معراجى ترقى عليه النفس الى الأفاق العليا .

ان الفن تكريم الحياة بالقيمة .

لقد كان أملاطون يقول أن الموسيقى منطق الخلق حين يتسق مع الخالق . وهذا هو معنى الفن ... والتدين بتذوق الفن عبادة شائعة . وخير لنا أن نقرأ تفسير القرآن في متحف الفن الاسلامى لا شرح المفسرين .

فربائى الحفر فى الخشب أغنية للشجر .

والنافورة صلاة المياه للنور .

وعماره المساجد صلاة تشكيلية .

مثال هذا **جامع اللؤلؤة** فى الهند المشبع بزهرية الأزهار حتى ليكاد يكون زهرة كونية كبيرة فيها أنس وإيناس وشذى ... فيه سكون وسكينة ورفعة .

وجامع برقوق فى القاهرة انه شعر من حجر ، خف وشف وعبر ابلى تعبير . وهو بالرحابة والثبات واحساس الأمان الذى يعطيه ، أشبه بالمعبد المصرى .

ان المعمار الجهيل فى المساجد تسبيح لله .

ان المسجد فى الهند استشفاف مجسد للمعبد الهندى ارق وأجل
بالخبرة المعقة للاسلام بما هو خاتم الأديان .

كثيرا ما يكون التشكيل لغة ذات جرس وموسيقى وأوزان . .
الاسلام عبر عنه الفن الاسلامى والتصوف اما الأدب فهو جاهلى
حتى فى اسلاميته . . . الأدب العربى لم يستطع — الا أمثلة
قليلة — أن يسلم . وحين استهدى الاسلام ، سجع !! فأنسد
السجع . ان الأدب الفارسى الاسلامى مسلم فعلا — هذا حين
ملا الفرس الأدب العربى بالبديع والمحسنات اللفظية على طريقتهم
فى نقش السجاد

حتى أصحاب العربية المحدثين حين راموا التجديد والتحرر من
القافية اتجهوا الى الغرب !

حتى الفكر الاسلامى وجد واحته وراحته عند المتصوفة . . . اما
اللغة فهى عند ابن الفارض ونظرائه أجل .

على أن التذوق الفنى فحسب هواية مترفين ولكن أكبر منه
تحقيق حياة المشاهد من خلال الفن وترشيدها وإضاءة ضميره
واكتشاف حكمة لا توجد فى الكتب . . .

ان التلقين يقول ان معبد زوسر الذى صممه المهندس الفنان
الطبيب الأديب أمحتب يمر الدالف اليه بهمر ضيق طويل ليخرج
منه الى الرحابة الرحبة فى البناء وفى المكان . . . ولكن القراءة
الوافية تقول ان المهر الضيق الصاعد يببط فى المعابد المصرية
مثلا مرأتى الصعود الى مملكة السماء كما يقول كباريت ، لون
من الأدب المعمارى . . . انه عملية تحضير للدخول . . . وتجميع
للنفس . . . ودعوة للصمت يفتح بعدها المكان قلبه وذراعيه .

واذ تبهر من فخامة البناء ، وايقاع التناسب ، وبساطة
الزخرف .

ينشرح الصدر (١٠)

وكان الزائر سلم .

فالمر الضيق طريق الى (المعرفة) الواسعة و (العلم) .
فالصمت هنا فريضة لأن المعرفة كما يقول الصوفي أبوعلى الدقاق ،
لوجب السكنية في القلب كما أن العلم يوجب السكون .
وهذه هي أناقة العمارة وأنسها في الفن المصرى .

ان الهندسة المجردة Geometry هي علم قياس الأرض . ولكن
الهندسة المصرية القديمة ترتفع الى صفاء النفس ... عمارتها
تتحول الى بستان بما فيها من نبض وخفق ودفق ومشاعر ، حتى
المربع والمستطيل بمحدوديتهما بينهما حوار ودى يربطهما يالكل بشكل
كامل متنسق تمام الاتساق ... وهذا الاتساق في الفن المصرى
لا ينبع الا من نفس متبلورة ذات ملكات . فان مناسبة الخطوط
بعضها بعضا في رونق أخذ واخراج متوافق يتطلب من المصمم كما
يقول الدكتور العريان في كتابه (مدخل الى الهندسة) : « احساسا
جهازيا تغذيه بعض ملكات الفنون الجميلة والتطبيقية ليتكامل
لعمله عناصر الابداع والفنية الى جوار عناصر الفائدة والنفع »

وهذا اللون من الاحساس الجمالى كان وراء الخطوط المصرية .
فان الخط في التصوير المصرى مفعم طاقة . انه تصوير بالنور على
الحجر ولهذا هو ملء بالرؤى . . ان الحجر المصرى محظوظ فلم
المصرى بما فيه يرو حجر مثله من وجدان مترع بالحياة كالوجدان
من رى .

ان العمل الفنى الرائع كلمة خضراء تستوعب رؤى عصر من العصور للكون بصورة مصفاة منماة . عمل تحس أن صاحبه توضحاً قبل أن يزاوله وكأنه الاستجابة لدعوة امرأة فرعون ... حقاً انه قصر من الجنة .

ان السموق فى عمود المعبد ونخلة الحقل ومئذنة المسجد شوق الى أعلى وتوق الى فوق .

ان الرائعة الفنية خلاصة تجربة الوجدان البشرى فى عصر من العصور ... الوجدان المصفى المودع فى العمل الفنى وكأنه سيفونية بيتهوفن الخامسة .

والفنان رؤية جديدة للحقيقة يفتح لها حوله وفى أعماق نفسه أن من توفيقات العرب تسميتهم صاحب القصيد « شاعرا » وهو تعريف للفنان الذى يستشعر القيمة . ان كل فنان شاعر وأحسب لو عرفوا فى الجاهلية ألوانا غير فن القول لسموا الرسام شاعرا والموسيقى شاعرا ... أيضا ...

ومن توفيقات ابن البلد عندنا انه يصف الكلام الجميل بأنه (يروق الدم) أو (يرد الروح) . وترويق الدم صحيح حتى طبيا . فعملية « الانشراح » والانتفاح على ما يعجب النفس أو الحس لها أثرها الملموس على الانسان ... أما قوله « يرد الروح » فعبارة تنتمى بحس بعيد الى معجزة المسيح فى احياء الموتى وليس بلازب أو لازم أن يكون الأحياء فسيولوجيا ، بل أعتقد أنه معنى كلمة الرحمن حين يخلق من الطين انسانا .

وبهذا المعنى يجب أن نفهم المسيحية والاسلام .. انهما فى جوهرهما روح وفن ، فالفن يشف الروح . وحين تغدو الروح شفة عفة تقترب من رحاب الدين .

وهنا يكون الفن مدخلا الى الدين .

ومن هنا نفهم أزمة الانسان المعاصر . فهذا الانسان عنيت
التربية بذهنه دون وجدانه ، فمعجز عن ايجاد المعادل المعنوي
للتقدم العلمى .

ان البحث العلمى الحقيقى تجربة وتجرد . وعصرنا امتاز فى
الاسلحة ومنها التليفون والبرق ... الخ ولكنه يفتقد القيمة التى
تتركز فى الدين والفن والفضيلة .

ان مقياس النيل بالروضة جهاز علمى ولكنه امتزجت فيه القيمة
الفنية بالعلم . وهذا هو الفرق بين العصر الوسيط والعصر
الحاضر ...

ان الفن اليوم فى المنفى .. اذ ليس له فى المجتمع وظيفة
اساسية . السائد اليوم هو فن الاعلان وفن الترفيه، بينما الحياة
الاصيلة وثيقة الصلة بالفن تعطيه ويعطيها ... بينهما زواج
تسعيد وانجاب رائع ...

لقد ربى وطننا الفن ... فن الحياة وفن الفن ووصل به فى باب
التركيب الى أعلى درجات الغنى ... غنى القيمة ... ولكن
حياتنا الفنية تصفق اليوم لفك الخط الفنى .

ان الانسان اذا حافظ على انسانيته فهو تلقائيا فنان ... ان
الآلية .. الروتين .. العادة الميتة تقف بين الانسان والفنان ...
الروتين أعدى أعداء الفنان كما يقول هربرت ريد .

اليوم ، الفن هو النادر .

وفى مصر القديمة كان الفن هو القاعدة .

والفن، غير الفوضى والبوهيمية بل الدقة الدقيقة ... ان القول
القاتل ان من ليس معنا فهو علينا ... هذا القول صادق فنيا، فإى

فضول أو لغو تعبيري ، يسعى الى العمل الفنى فلا يصل الى
(النقاء) الذى هو أمنية الابداع .. أما النسبية فهى حل رخيص .

ان الفنان باحث كأعمق ما يكون البحث وهو يسلك كل خطوات
العلم والعالم .. كل خطوات الدين ... فبالفن ليس فهلوة .

ان الصناعة وهى دون الفن ، بما هى (وسيلة) التحقيق ،
تسبقها عملية تحضير وقد تكون غير واعية ... عملية جسع
خبرات وتحليلها .

ان معدة الفنان فى عقله ... فى جهازه العصبى يلتقط ويتغذى
او يتمثل وينمو

حتى الفنان الشعبى دارس فهو لم يولد خزاناً أو زجاناً، ولكنه
سمع ووعى واختزن .. كان (صبيا) عند (معلم) .

وهكذا نرى أن الفن موهبة وجهد وتحصيل وبحث وعطاء ...
والمعنى فى الفن يستلزم نوعية الاداء .

والمتذوق الحقيقى هو الذى يعطى نفسه للآثر الفنى يستطيل
معه ويستدير معه ويتأفق ويتأرس أى يصير أفقياً تارة ورأسياً
تارة أخرى وفقاً لخطوط الفن .

ان فهم الأثر استماع للفنان . وارتباطنا بالاعمال الفنية كسب
لقلوب أصحابها .. والانسان الحساس كآلة الموسيقى يبعث
منها ، حتى الهواء العابر ، الانغام .. والرؤية الحقيقية للفن
هى ابرة الجرامفون تلمس الاثر فتبعث النغم .

قلبى يدعو الله أن يهبنا نعمة البصيرة بقدر ما وهبنا نعمة
البصر والعيون الجميلة .. فبالبصيرة نتذوق كل ما فى دنيانا من
معان ، لأن البصيرة قدرة على التناذ الى عمق الاعماق ... قدرة
على الحب .. على التعاطف ... المشاركة الوجدانية .. السكن

الى وجود الآخرين ... ولهذا لا أعد الامتلاك من الحب في شيء ..
ولكن الخروج من الجلد والامتزاج بجوهر الناس والاشياء هو
الحب ... وهذاما جعل الدزهكسلى في روايته **Bravely World**
ينمى اختفاء الحس الانساني في الفن المعاصر فيخرج مشوهسا
كأطفال أنابيب الاختبار الذين يحلم بهم العلم الحديث حين يرى
الأمومة التى هى قمة الحب ، أعظم الحقائق التى تمس القلب
البشرى .

وهل سمي الرحم الا من الرحمة ؟

ان الرائعة الفنية هى خلاصة تجربة الوجدان البشرى في عصر
من العصور ... ذروة تكامل القيمة فيه .. خلاصة الوجدان
المصنى المودع في العمل الفنى .. وهذا السر المكنون لا تبوح به
الرائعة الفنية الا للبصيرة ... وقد يستسر على البصر ...

وهكذا نرى أن الفن له عمل آخر غير الخبر .. غير الحكاية ...
ان التاريخ لا غنى عنه حصيلة للتجربة البشرية، ولكن يستغنى
عنه حين يبدى ويعيد في ظهور الملوك واختفائهم ونشوب المعارك
والنصر الزائف فيها ...

ان التذوق والثقافة (ادراك) وراء التاريخ الذى هو وقائع ..
ولهذا لم يتوقف عطاء مصر بموت آخر الفراعنة ...

كان الرازى يقول : الفن طويل والعمر قصير .

ولكن هذا القول خيال فردى . فان الفن اذا كان حلم جماعة،
تواكبت الاجيال في عملية تحقيقه فان الاجيال لا تموت اذا مات
صاحب الحلم .

لهذا نعرف العصر الفنى بأنه رؤية معينة .. حلم معين ابتداء
من الاشراق النفسى به الى ميلاد تحقيقه .

وهكذا نرى الثقافة الحقيقية التى لا تأتى من المدرسة ولا الجامعة ، ولكن من وجدان قادر على ادراك رهائف المعنى .

وليس معنى تركيزى على الفن أننى لا أعالى بالعلم ! فان الحياة لا تستقيم اذا أسلمت . زمامها للفن وحده أو العلم وحده ، أو الفلسفة وحدها . ولكنها تسلم ويترد مسارها الصحيح بمجموع هؤلاء ...

اننى حين أنشد النفاذ الى عمق الفن فأنى فى الحقيقة أطمع أن ننفذ الى الأعماق فى كل شىء .. ومن هنا أرفض أسلوب المدرسة المصرية والعربية فى التلقين .. فقد يحجب المعلم ، المعنى البعيد ويقف حائلا دونه .. ومن يدري فقد يقطع وجود المعلم ، الاتصال بين المعنى والمتذوق ...

يكفى المعلم أن يعطى المفتاح فحسب ... حتى الصورة الفوتوغرافية محكومة برؤية المصور نفسه ...

إن من التذوق ، كالحب .

هل يدرس الحب ؟

الدين والفن في مفهوم مصر

ان دعوة الدين الى الاخاء يحققها الفن حين يمنح الناس كما يقول (سيدنى فنكلشتين) وعيا بالنسيج الاعرض للمجتمع الذى يعدون هم جزءا منه ، ويبين لهم كيف أن مشكلاتهم انما يشتركهم فيها الآخرون مشاركة تتم على مستوى عريض ، ومن ثم فانه يخلق شعورا بالقربى فيما بين الناس الذين لهم حياة ومشكلات مشتركة .

الاخاء الانسانى الذى يسعى الدين جاهدا الى توفيره في المجتمعات الانسانية عبر عنه الفن أجمل تعبير من خلال بتهوفن حين كان يصنف بقوة محاولا اختراق حجب الصمم الى سيمفونيته التاسعة التى ترتفع فيها أصوات المنشدين مترنمة بنشيد النصر، مغدنا على الدنيا فيوضا من السعادة . وهو المثال الذى يشكل أعز حاسة عنده ... انه في هذا الموقف أثرب الى قلب الانسانية من قديس .

ان الفن وظائف بيولوجية واجتماعية لا يمكن التقليل من أهميتها، كما يقول هربرت ريد في تعريفه للفن حتى (نيتشه)، وهو أحد ثلاثة جئى رأيهم على الفن — الآخرا ن هما فرويد وماركس — جاء

عليه وقت كان يلوذ فيه بهوسيقى فاجنر ، وهنا ندرك قول توماس موثرو عن الموسيقى في كتاب (التطور في الفنون) انها لا تقل أهمية عن الفكر فانها بما تقتزن به من الإيماءات وتعبيرات الوجه تصبح وسيلة للتعاطف الذي تفيض به نفوس المتحضرين أكثر مما تفيض به نفوس المتبربرين .

لقد ذكر الأستاذ العقاد في (يومياته) ان أفلاطون كان يقول :
(ان تغيير أغاني أمة يضارع تغيير الشرائع فيها) ..

ولعل من خير ما جاءت به الثورة الفرنسية هو اصرارها ، كما يقول : Franco Benoit فيما نقل عنه ارنولد هاوزر في (الفن والمجتمع عبر التاريخ) اصرارها على (ألا يكون الفن مجرد زخرف يزين به البناء الاجتماعي) بل «جزء من دعائم هذا البناء» . . .

وهذه الصلة بين الفرد والدين أدركتها مصر بما في داخلها من احساس عميق بالمقدس والجبل فأدخلت الموسيقى المعبد واشتركت الملكة نفرتارى نفسها بألة السيستروم .. وعن المعبد نبعت الموسيقى الكنائسية . وفي الاسلام موسقت مصر الدين حين استن متقدمو القراء في مصر تقليدا (الا يبدأون قراءاتهم الا من البياتي وبه دائما يهتمون) .

وبعد القرآن يأتي الأذان وقد أوضح عمل مصر فيه الشيخ البشرى في (قطوفه) ..

يقول الدكتور بشر فارس في كتابه النافذ (سر الزخرفة الاسلامية) .

(على المؤمن أن يتوجه بكيانه الى الله ، فالله مصدر جذبه وغاية سعيه في آن واحد . . وفي القرآن (والله المشرق والمغرب فأنينا تولوا فتح رجاه الله) البقره ١١٥ .. وفيه أيضا (ذلك خير

نحفين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) هذان معنيان لا يفتأ
كتب الاسلام يرددهما

من هنا لدونة الزخرفة الاسلامية وقد آل بها المطاف بين يدي
الاسلام ، أن عتقت من الواقعية الهلينية وخلصت من الصلابة
العارسية . فلا مبتدأ لها ولا منتهى ، ولما يجوز لها أن تطمح في
'حد منها' ، لأنها تسمى وراء الله الذي (هو الأول والآخر)
تحدد ٢ ... منه تتبدى الاسباب واليه تنتهى المسببات .

وبفضل اللدونة نرى « الوحدة » في الزخرفة الاسلامية دوائر
نيرة ونارة متوترة ... وهى ، فى أكثر الحال ، تلتوى وقلما
بتركها البهر ... ووجهتها ، أبدا ، ما لا حد له ، فهى ماضية
بلا ملل ... وهيهات أن تبلغ ما تهدف اليه ، فشأنها شأن ايقاع
بترشح متقادا للصبر) .

وان كنت أرى مع الدكتور زكى حسن أن الوحدة فى الزخرفة
الاسلامية تتوقف أحيانا عن المضى بعد أن زایلها الشعور بالخوف
من الفراغ متأثرة بالفن الصينى .

ولعل الدكتور بشر فارس أحس بصعوبة التركيز فجنح الى
تطبيق قائلا : (ان التفاف المرق بوروده وأوراقه ، وكذلك
النبساط السطوح يفتان فجأة أحيانا ، أو يتكرران حتيا على
الحواجز ، عند أطراف الساحة التى تستقبل المنطق . أترى برضى
الانحناء والانبطاح هذه الهزيمة ؟ كلا ! أما العرق فلا تختتم
مداه . وأما السطح فلا تلتحم أضلاعه ... بل كل يصل الى
المدى المقرر له وهو فى فوران نشاطه : أما عند رأس انحناءه ،
وأما فى قلب اشتباكة ، كأنها يتأهب لاستئناف الاندفاع ، فيدعوك
هى أن تثب وراءه فى الخلاء ، لعلك ، من طريق التخيل تلاحق
جولانا صدمته قسوة الواقع تلك نشوة مشئت فى الخط
سببك أن افق الغيب المستغلق دون المؤمن مشغلة دائمة لذوقه) .

ان الفن الاسلامى رؤيته رؤية بالاشواق وهو يمتاز بالتنوع
والوحدة معنا . يقول م.س. ديماندى فى كتابه «الفنون الاسلامية» .

يمتاز الفن الاسلامى بتنوع عظيم اصاب نواحيه واشكاله
وصناعاته وزخرفته واثاليه ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة
جدا يصعب فيه كثيرا أن نجد فيه تحفتين متمثلتين ومبع ذلك
يمتاز بوحده (١٥)

والواحد هو الأصل فى العدد . . وفى الكون . .
والتنوع هو الظاهرة الكبرى فى الطبيعة . . . والفن الاسلامى
لم يعط الصورة انسانا أو شجرا أو نهرا « كينونة » لأنه اعتبرها
ظلالا عابرة فى طريق تطلعه الدائم الى ما وراء الطبيعة . الى الله
الواحد . وان كان الفنان المسلم قد أخذوا عن الصين رسوم
الطير يسبح فى الهواء فيكسب الصورة حياة وحركة كما يقول
الدكتور زكى حسن فى كتابه (الصين وفنون الاسلام) وحين تمثل
الفن الاسلامى هذا المعنى خرج خلاصة مقطرة للحياة والحياة . .
وهنا يتعاقب الدين مع الحياة فى ود موصول حين نفهم عنه
فى استشفاف واع معانى كلماته الجامعة ، فتجاوز بالتوحيد النطق
البيغوى بالشهادتين الى توحيد الذات فلا انفصام ولا تشقق ،
وتوحيد المجتمع فيبرا من الشيع والتطاحن ، وتوحيد العالم نحو
القيمة الكبرى أى الله .

الدين قيمة كبرى . . . والفن الاصيل موضوعه : القيمة . . .
بينما العلم الحديث يفسر القيمة لا يتغياها . . . القيمة عند العلم
الحديث خارج الموضوع . . . وهى عند الفن قبله يتجه اليها كما
يتجه عباد الشمس نحو النور . . .

العلم الحديث آله الذهن وله حدود الذهن وهو بهذه المحدودية
لا يمكن أن يحيط بالحياة أو الدين أو الفن . ولعل قوته فى معرفة
محدوديته بينما الفن أقرب الى التصوف فيه « الحال »
عطاء الله ، و « المقام » درجة يصل اليها السعيد بالمجاهدة . . .

والقلب بين الحال والمقام يترقى بالصفاء من مقام الى مقام حتى يصل الى الملأ الاعلى ...

ان مشكلة مصر اليوم انها ينقصها « الأساتذة » الحقيقيون في كل مجال من هذه المجالات ... ولهذا نقص الوعي من ضبابية الادراك ... ادراك معنى « العلم » و « التكنولوجيا » ... و « الفن » و « الدين » و « الانسان » . ولعلنا بإدراك (نقص الادراك) نكون قد اقتربنا من الهدف . فان ٩٠٪ من الحن في ادراك المشكل ...

ليس اعتباطا أن تنبع الأديان من الشرق وتنشأ فيه لأن « التوحيد » فيها يوافق حب « التكامل » المائل في طبيعة الشرق . لماذا لم تتفوق الملحمة والقصة عندنا كما هو الحال في الغرب ، على الرغم من اننا نحب الحكايات ؟ ذلك لأن طبيعة تفكيرنا التكامل لا المتصارع الذى هو أساس الدراما ... الملحمة مجلى بطولات يبرزها الصراع الثنائى ولكن مصر حتى حين تتصارع تفتى سريعا الى الوحدة ، محروب الجنوب والشمال انتهت بوحدة الوادى ولبس « مينا » تاج الوجهين .

وصراع أوزوريس وسيت انتهى الى تحكيم القضاء ونصب ميزان العدل . وهذا الادراك العميق للامور هو في صميمه بطولة فكرية . «

وحين جاء الاسلام حدث في القرن السابع الهجرى أن كثرت الفرق والتحل واشتد الخلاف بينها . فاتفق رأى العلماء على العالم المصرى الشيخ تقي الدين السبكي ليوفق بين المذاهب الاربعة . .

واذا لم يكن هذا الميل الى التوفيق مصريا فقط في هذا الشاهد ، فانا لنجد كما يقول الأستاذ الخولى (هذا الميل المصرى للتوفيق بل الدعوة اليه يتجه اليها صوفى مصرى بلدى السبكي هو الشعرانى . وهو أصيل في الفقه فوق كونه صوفيا من الطراز الاول . وقد

حاول التوفيق بين المذاهب الأربعة كمحاولته التوفيق بين أهل
الكشف والعيان وأهل النظر والاستدلال . ويقول الباحثون الغربيون
انه مصلح يكاد الاسلام لا يعرف له نظيرا) .

أن ملحمة مصر تتمثل في الرائعات الفنية : « الهرم » ..
« أبو الهول » .. « الكرنك » « جامع السلطان حسن » ..
« تائية ابن القارض » . أما « الألياذة » و « الأوديسة » ففي اليونان لأن
عندهم « الصراع » حتى بين آلهة الأولمبياد ... حتى القدر يتقابل
الانسان ... فالانسان والقدر يتصارعان ...

أما الاسلام فانه بآيته (قل ان صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي
لله رب العالمين) ١٦٢ ك الانعام ٦

الاسلام بآيته هذه فيه اتجاه الى الله وتسليم سلامى ... الله
الذى هو قمة القيمة ...

ولا نحاج هنا بالمنتصر الذى قتل أباه المتوكل ، ومأساة
(المستعين بالله) و « ابن المعتز » .. فهو لاء تحت جلودهم
جاهلية ... جاهليتهم الأولى التى كانت تكمن وراء الخلافة
وأبقتها ...

انهم دون مستوى الاسلام ...

والاسلام المسالم المصفى طرحه محمد فى عصره . ولكنه بما هو
دين الفطرة السليمة موجود قبل محمد فالانبياء قبله مسلمون
(فان حاجوك أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وأسلمت مع سليمان
لله رب العالمين) ٤٤ النمل ٢٧ .

(يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) ٤٤ م المائدة .

وابراهيم (قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين) . الاسلام
دين الفطرة السليمة . دين العقل الحر والانسانية الكاملة ... فحى

ابن يقظان اهتدى الى الاسلام بلا نصوص أو هكذا يرى ابن طفيل ...

الدين الحقيقي أكبر كثيرا من (الحرفية): حرفية النصوص والطقوس التي نهوى الوقوف عند ظاهرها دون أن نكلف أنفسنا مشقة الغوص فيها واستقراءها ...

ان أعدى أعدائنا اليوم هو السطحية ... اننا نطالب بإحترام المسرح ونتأذى من وجود اللب داخله ، وثقافتنا قنور وحديثنا قزقة ... فلم نعد نكلف أنفسنا النفاذ الى الأعماق التي انشغلنا عنها بالثرثرة والاستطراد يشيع في كلامنا بل وفي تخطيط مدننا خلاصة في العصر الوسيط . فأنت لا تكاد تأخذ في السير حتى ينقطع بك الشارع الى ممرات جانبية وأزقة تفضى بعد حين الى الطريق الرئيسى ثم يتفرع مرة أخرى وهكذا ... ويتمثل هذا في طرار العمارة الخاصة بالمساكن التي يضمها أصحابها دهايز و (مسروقة) الخ .

ان الانجليز يسمون ظاهرة الاستطراد عندنا :

The Story of the Merchant

فاننا لانكاد نشرع ، في رأيهم ، في حكاية التاجر حتى نستطرد الى موضوعات وموضوعات ثم نعود الى حكاية التاجر من جديد . وهكذا فلا الحكاية تنتهى ولا استطرادنا يكف ...

نحن نتكلم كثيرا لأننا لا نعرف على وجه التحديد ماذا نريد أن نقول كما يقول امرسون

He did not know what to say, so, he cursed.

مما أوجنا الى القصد في القول والعق في التفكير والانفتاح في الايمان لنحب في صدق : الدين والفن والحب ... ففتعاطب ونتواد فلا يعد بأسنا بيننا شديدا يحسبنا الناس جميعا وقلوبنا شتى ... ويوم تتحقق وحدتنا يتحقق بها ومعها المعنى الكبير للدين والفن ، ومفهوم مصر لهما .

حين تحرر المصري من الخوف أبدع الحضارة

إذا أردنا كتابة التاريخ لكي نعيد بناء الشخصية المصرية علينا أن نراجع مفاهيمنا للمبادئ التي تقوم عليها الأوطان وفي مقدمة هذه المبادئ « التحرر من الخوف » أن J. A. Wilson يعزو ازدهار الحضارة المصرية الى تحرر المصري القديم من الخوف وإيمانه العميق بوجود رب يحميه مما أكسبه ثقة في نفسه نجرت فيه قوى الإبداع والخلق . يقول ويلسون (قد تكون الحضارة المصرية حصيلة الموقع الجغرافي والأرض السهراء الخصبة المستدفئة بشمس أفريقيا . ولكن السبب الأكبر وراء هذه الحضارة ، عقيدة المصري القديم بأن مصر يحكمها اله هو ابن اله الشمس الذي يمنح مصر الخلود فهم يخاف)

انه اذن الايمان والطمأنينة والثقة .

وهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية المصرية يجب أن نبحث عنه فيما ضاع .

لا يمكن أن نعيد بناء الشخصية المصرية الا اذا

خلقنا أولا من أنفسنا مجتمعا ناضجا متحضرا يرمى الحق والجمال والخير ... مجتمعا كل شيء فيه محسوب فلا نفرق في المدح اذا رضينا أو رهبا ولا نسرف في الذم اذا عادينا أو غضبنا ... مجتمعا لا يداجي ولا يصانع بل يؤمن فيه كل فرد حاكما أو محكوما بأهمية كل فرد ، وحرية الرأي ، والعمل ، والتسامح ، واتخاذ سبيل الاقتناع بدلا من القوة ، والحكمة ... تلك الصفات التي يعدها وايتهد Alfred North White head من مستلزمات الحضارة .

ومن المبادئ الرئيسية ((الوطنية)) وهى كلمة جامعة تتفاضل عندنا على كثير من الشغاف حتى تغدو هتافا أجوف بلا مضمون .. وفى رأيى أن الهتاف وطنية البسطاء .. ومصر لا تحب الهتاف لأنها شبعت منه .. والصادقون فى حبها يعملون فى صمت ويشكلون حبههم انجازات ، تضيف إليها ... وحضارة مصر اضافة الذين أحبوها فترجموا حبههم الى عمل دائب ..

فهمر اسم شرف لا يكتسب بالولادة ولكن بالعمل ... بالسلوك .. بادراك القيمة .

ومصر فى الضمير العالمى قيمة نفيسة بما هى مجهومة قديم حضارية ومنجزات حضارية .

الوطنية اذن عمل .. ورع وطنى .. تصوف وطنى .. وبهذا تغدو الوطنية ، قيمة .. قيمة انسانية .

وطنية ان نأخذ ما عند الغير ونضيف اليه من ذاتنا لأن نبهر بكل ما يأتى به الغرب .. اننا لو تأملنا قليلا نجد الغرب عبارة عن تكتيك بـ فوضى فى القيمة ... والأوربي يحاول تبرير الموقف المعاش حتى يستطيع أن ينام انه يهدم القيم فى أنحاء العالم بدعوى أن التقدم انما هو التقدم العلمى المسمى ... وغير هذا مفهوم العلم فى مصر ... لقد اشتق اسم العلم من اسمها ، « كيماء »

فالكيمياء هى العلم الذى يحول الخسيس الى النفيس حتى ليرى (يونج) فيها ، اشارة ... فتحويل العناصر رمز الى تحويل النفس ، ولامر ما سمي الغزالي كتابه (كيمياء السعادة) .

ومن هنا ، اتخذ أحد المصريين المحدثين الكيمياء فلسفة وطنيته فاهتم بها درسا وعملا ، تعبيرا عن مصرية واصالة ...

وهكذا مصر .. العلماء والفنانون يخدمونها .. (والهاتفون) يدوشونها ويزعجونها .

ان المادة مرآة الروح اذا عرف الانسان كيف يستشف المعنى من وراء المادة .. فنحن لا نهون من التقدم المادى الذى يزهو به الغرب . فالمادة فى ذاتها ليست رذيلة والشخص السوء ليس المادى ، ولكنه القاصر عن تحرير المادة وكثافتها ، والخروج بها الى شفافية المعنى . وهذا هو ما يفتقده الغرب ...

وطنية أن نعرف عيوبنا فمعرفة النقص خطوة كبيرة نحو الكمال ولكن بلا مبالغة . فمصر بلد الأساسيات جغرافيا وحضاريا وفنبا . ولكن البعض يففل عن المنبع المتدفق بالخير لينظر الى البالوعة التى تتجمع فيها الشوائب .

وطنية أن نعيش العصر ونفهم ما جاء به من نظريات فى العلم والفن ولكن دون انبهار يفقدنا أنفسنا .. ان الكثير مما يستهوينا قد يكون فى تراثنا ما يعادله أو ما يفوقه لو اننا نعرف ما عندنا

ان التعبيرية والسريالية القائبة على التجريد وتجاوز الشكل بل تجاوز المنطق والتطويع الى ما وراء العقل ، يتفوق عليها الفن المصرى القائم على نقاء الشكل مع الاحتفاظ باللحاحات الانسانية .. حقا كثيرا ما يتجاوز الفن المصرى الشكل ولكن الى الاسطورة بشاعريتها وغناها .

ان الصعلوك ليس فقط المشرذ الضائع وانما الصعلوك هو
المتور من جذوره الثقافية . يقول كاتب انجليزى (العرف بديل
العبرية) .

ان من يتعزى من الفطاء الاجتماعى المنسوج من قيم امته
وحكمتها وتجاربها ، انسان هش يتيم معنويا وان حسب نفسه
متحررا حرا ...

أنا لا اطالب بالمثالية ولكن بالمثال .. أن تنمو من الجذور ثم
تتفرع كما نشاء .

ولأمر ما يعبر أولاد البلد عن طحن انسان أو سحقه بقولهم ..
« يعدمه العافية » . ان التربية الحقيقية ... غرس التاريخ فى
النشء تعطى العافية .. القوة .. الأمل .. الحلم ... الارهاصات
أى همس الوجدان .

ان أزمة الانسان المعاصر ان وجدانه لا يضاهى تقدمه
التكنولوجى فملك الآلة ولم يملك السلوك وحسن الاستعمال .
انسان العصر الحاضر سباق مدنيا .. فقراء هذا العصر يستضيئون
بالكهرباء وهو ما لم يتيسر ليوليوس قيصر ولكنه معنويا ، ممدوم
لا يعرف كيف يعيش ، كيف يحب .. كيف يكره ليس عنده (فن
الحياة) اللهم الا اذا كان عبقرى .

انسان العصر محروم من الرعاية المعنوية ثقافته متجولة
كبضاعة الباعة المتجولين .. ثقافة جرائد وأفلام مسطحة .

ولأمر ما تغير وزارة الثقافة عندنا اسمها بين حين وآخر نهى
تارة وزارة الاعلام وطورا وزارة الارشاد وحينما وزارة الثقافة
لأننا نحتفل بالاسماء لا بالمشهون ... لقد عمل الانسان اللغة فلا
يدع اللغة تشكله ... لو كان لوزارة الثقافة هدف محدد لما

غيرت اسمها مرات .. لو تعمقت مضمون كلمة (مصر) وهو حضارة + مسيحية + اسلام + حرية ... وهذه الحرية ، اى الخط الرابع ، تستقطب هذا كله ...

لو عرفت وزارة الثقافة هذا المضمون لاتخذت منه شعارا وجعلته محورا لها وهدفا

ان الحرية انتفاء للآلية ونفى للاضطرار يتحقق هذا المعنى فى الانسان بل الجهاد فالخط المستقيم نقطة متحركة فى اتجاه واحد فيه معنى الآلية أما الخط المتوج فهو أكثر حرية ولكن الجبال فيه ترتيب فيه بعض آلية داخل حريته .. وتزيد الحرية باختلاف الموجه بين ارتفاع وانخفاض .

لقد كان فى الفن الفرعونى خطوط مستقيمة ولكن الى جانبيها خطوط أخرى تتحرك فى حرية تامة وهى بانطلاقتها تؤكد ضرورة الخطوط المستقيمة ليتوازن البناء الفنى كالأعمدة فى البناء الهندسى . حتى (العقد) المغرم به الفنان المصرى حتى ليوفره لصوره ونقوشه كلها ... هذا العقد المستدير رد على دائرة الرأس يدور معه الفكر ليصعد الى الرأس من جديد .

كان عند الفنان المصرى تفتح وانفتاح وانسراح وتمهل فى التقبل فاذا رسم أحس احساسا طبيعيا موهوبا بالنسب فيخرج الأثر الفنى وكأنه منظوم فى بحور رياضية فهو كشاعر موهوب يجيد النظم ولو لم يكن يعرف العروض .

وحين نسال السؤال التقليدى هل الانسان مسير أم مخير فان معنى مسير ضد الحرية .. **انما الحر هو المخير** . مثل هذا الانسان اذا فعل فقد اختار ان التصميم هو الوضع باختيار ...

الحرية نمو على مستوى الفرد والمجموع .. ان عز الانسان

الأول اعتمد على ذاكرته وقد بدأ مرحلة التحضر عندما بدأ يحرز
رجليه الأماميتين أى يديه ... ولما تفرغت اليدين وبدأت تعملان
في حرية بدأ المخ ينمو ... **والثقافة نمو النفس المتحررة من الخوف**
والعقد بحيث يكون لديها من الادراكات والمنجزات والطرح ما يمكن
أن يتاح للنفس الانسانية الراقية .

ومن الحرية بل من الوطنية أن نحب الحرية لغربنا ... ان
وطنية المستعمرين (أنانية قومية) ... لهم الغنى والديمقراطية
والحرية... وللشعوب المغلوبة الفقر والاستعباد والذل... ولا يستحون
بعد هذا أن يتشدقوا بحقوق الفرد وحرية الرأي واحترام انسانية
الانسان - وهم يعنون الانسان الأبيض بالطبع - أما احترام
انسانية الشعوب بموضوع آخر .

قتل امرئ في غابة	✳	جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن	✳	مسألة فيها نظر

وطنية أن نحترم أوطان الآخرين كما نحترم وطننا ... لقد
دعا جمال الدين الأفغانى الى الحرية في غير وطنه ، وثار توهين
على الاستعباد في كل مكان حتى لقد ألّب الأمريكيين على الاستعمار
البريطانى ، وهو الانجليزى مولدا وهوية لانه كما يقول هلد جارد
هو ثورن :

(الدنيا وطنه والحرية رايته) .

وما دمنا نحب الحرية للآخرين ونحترم أوطانهم فلا يستكثر علينا
أحد ولا ينكر علينا أحد أن نعلق راية (المصرية) دون أن يتعارض
هذا مع القومية العربية . فالعرب في سائر بلادهم ينتهون أولا،
الى الوطن الأم ثم ينتسبون الى العروبة بحكم الدين واللغة ومسار
التاريخ في الأربعة عشر قرنا الأخيرة .

ونحن في مصر لا نطلب أكثر من هذا لا سيما واننا نحمل اسرا
عرفته الدنيا قبل الديانات واللغات والقوميات فنحن مصريون أولا
ونحن مسيحيون ونحن مسلمون ونحن عربيو اللسان والهدف
والمصير ..

ان الأستاذ ساطع الحمصرى في كتابه الكبير عن (القومية العربية،
يسميا « رابطة » ونحن لا نكر هذه الرابطة ، ولا نستطيع ..
وليس في مصلحتنا ان استطعنا ولكن « الرابطة » مهما عزت ،
لا تبلغ الأصل المرتبط والمربوط بل ان وجودها رهن بوجوده .

انها لماسة ان تحتاج الحقائق الثابتة الى اثبات .

من هنا ندعو الى اعادة قراءة التاريخ حفاظا على الاصل ،
واتخاذ منه منطلقا للتجديد والخلق حتى تكون لنا شخصية متميزة
ثم نتمسك بها .

لقد أخذت اليابان بأسباب العلم الحديث بل أضافت الى علوم
العصر ، ولكنها تمسكت بأسلوبها في الحياة ونظامها في العيش .

انى أرى الهنود في مصر ورأيتهم في بلاد أخرى عربية وأوربية
فلم تخطئهم العين بزيهم الخاص مهما تطوحت الموضة حولهم وفي
عقد دارها .

ان الانسان يولد في العصر الحجري ، والتربية هي التي تصل
به الى العصر الحديث .. في ادراك القيمة لا في ارتداء الموضة
فان من يرتدى الموضة فحسب لا يزيد على شناعة خشبية انمسا
المقصود رحلة في النفس .. معاناة حقيقية ..

الشخصية قبة الوجود الانسانى ... تكامل الكيان البشرى
نحو قيمة جديدة وهى بالنسبة للأمم خلق حضارى كالذى فعلته
مصر والهند والصين في العالَم القديم .

وهى بهذا ولادة ثانية والقيمة ثراء للذات واثراء .

فرق بين (الشخصية) Personality وبين الفردية

ووزارة الداخلية حين تعمل للمجرم (فيش وتشييه) وتسمى هذا تحقيق شخصية ليس في الحقيقة الا تحقيق فردية Individuality

الوطنية وعى بالماضى ومحافظة عليه باتخاذها منطلقا نحو التجديد ... ان القبة هي الترجمة الاسلامية للهيم .

القبة هرم ترفق المصرى المسلم فى بنائه فاستدار الخط بعد صلابه وثبات ...

وكالقبة ، المئذنة ... ان داخل كل مئذنة ، مسلة فى الشكل والروح ... المئذنة قدمها على الارض وقلبها معلق بالحل الارتفاع كما يقول الغزالي فى الواصلين انها Sermon in Stone

والفنان المصرى الاسلامى كان يجمع الى قوته الموروثة سباحة الدين الجديد ورحمته فنانطبع هذا فى فنه حنيات واستدارة فابواب المساجد يتركش المصرى المسلم اعلاها وكأنه يحئن المستطيل ويعشق الخشب ويستنطق السطح بالفتش والنهمة ...

كم هى بليغة لغة ابن البلد فى لفظة (يعشق) . الخشب فى مفهومه ارواح تتحاب وتتعانق وتعشق ... ان لغة ابن البلد فى هذه (الحقة) ابلغ من التعبير الانجليزى Made with love على جماله ورقته ...

حتى المفاهيم العقائدية تلتقى فيها عصور مصر مع تجديدها ..
فلو تأملنا الآثار المصرية لرأينا (الجناح) يسيطر على خيال المصرى الذى رمز به الى الرحمة .. الى الانطلاق .. الى السيطرة .

ولهذا شاع في الفن المصرى القديم (القرص المجنح) حبا في
النور والحرية ، وتحسينا بالشمس والجتاح ...

والقرص المجنح يقابل في الاسلام (بسم الله الرحمن الرحيم)
نفس الـ Sentiment وتسرب هذا عبر الاجيال الى نفس ابن
البلد فأصبح يقول ويؤمن (بمصر المحروسة) .

وهكذا نرى الحفاظ غير الجهود .. لقد أدرك المصريون برؤية
داخلية بصيرة ان الحضارة تحتاج الى زمن .. استثمار ...
حفاظ .. ان الحضارة لا تبنى في جيل ... هنا اخترعوا
الكتابة .. العمارة .. التحنيط حفاظا على الجسم من الزوال ...
وقد لاحظ شبنجلر في كتابه Decline of the West

ان الهندوكى يحرق الجثة والمصرى يحافظ عليها ويحفظها .
وفي لغتنا اليومية لفظ « قيد » بمعنى اكتب وأحصر حتى لا يهرب
المعنى .

والفكر المصرى من طبعه الحفاظ فهو يحافظ على تديمه ولو كان
Out of Modern لقد ظلوا يقولون ملك الوجهين حتى
بعد أن توحدت مصر وصارت كلا واحدا ... وفي المعبد مقاصير
الشمال تقابلها في الجانب الآخر ، مقاصير الجنوب انها الوحدة
المصرية يعبر عنها الحجر بالشعر الموزون .

ومع هذا كله ، مصر قادرة على التطور والتكيف فاعتنت
المسيحية ثم الاسلام وكانت في هذا تصدر عن طبيعتها لا سيما وان
المسيحية والاسلام فيهما منها الكثير حتى ليصف جاك مارتان ،
الفن الفرعونى بأنه مسيحى النزعة والامل Christian in hope
كما أجمع أساتذة الفنون ، شرقيين وغربيين ، الذين رأوا جامع
السلطان حسن على أنه فن فرعونى ولو أنه أثر اسلامى .

اعتنقت مصر المسيحية والاسلام بما فيهما منها . ان مصر حين
 رمرت الى الخير والتعدل والحق بـ (معات) كانت بطريقتها تقول
 من خلال (معات) : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) .
 لقد اعتبرت المسيحية مصر (الارض المقدسة) لوجود آباء
 الصحراء فيها ... وعندما جاء الاسلام شربته مصر ونمت به ،
 ونمت فلم يمح شخصيتها بل اُضاف اليها عمقا جديدا و اُضاف لها
 فضلا جديدا يوم حملت مسئوليته في السلم والحرب فدانت عنه
 في مواقفه الكبرى، وحمت حضارته التي تهددها هولاء الصليبيون
 فوق ما عملته له على أرضها برصيدها الكبير في صناعة الحضارة
 مما لا يستوعبه كتاب محدود .

ان مصر قادرة على التكيف والتطور .. لقد أحببت مصر القديمة
 الحياة حتى أنكرت الموت ولكن مصر المسيحية حين وجب الفداء
 أحببت الموت حتى أنكرت الحياة واستشهد في سبيل المسيحية ابرار
 سنبقى شهادتهم رمزا للايمان .

فمصر قادرة على التكيف والتطور حتى لتبلغ به أقصى المذنى
 الذى يبدو للظاهر متناقضا وهى فى الحالى تنبع عن أصل واحد
 هو طبيعتها السمحة القابلة للتطور . انه التوازن بين الثبات
 والحركة ، الذى يقول عنه جوستاف ليون فى حديثه من
 « الحَضَارَات الأولى » ، (ان قليلا من الشعوب من نجح فى
 تحقيقه بل نادرا .. وأندر منه من احتفظ به ..)

وتختلف الأديان والعصور والمصرى يجمع فى كيانه هؤلاء كلهم ..
 ان دنيا المصرى كمملكة الثبات عالم رائع له عقيل كلى كما
 يقول أخوان الصفاء .

مصر خلقت نفسها كاله الشمس الذى خلق نفسه فى الاسطورة
 المعروفة ...

وجودها شاهد على القيمة وانجازها دليل عليها ... والقيمة الأولى في تاريخها ، الفن .. الفن المصرى القديم فهو انجاز حضارى رائد .

أما القيمة الثانية في تاريخ الشخصية المصرية فهي الفن الاسلامى .

ان الشخصية المصرية = حضارة + ارتفاع فوق الاحداث كارتفاع المآذن فوق الطوايق + وعى بالقدس بوجود الله

مصر القديمة خلقت نفسها حضاريا

ومصر الاسلامية نهت نفسها

هناك خلق وهنا تحقيق نمو .

وميزة حضارة مصر ، الاستثمار وفى تكامل .

ان الحفاظ الحقيقى تنمية وتكامل .

مصر الاسلامية كانت القلب الرائع والنابض للطائر الذى يمتد جناحاه من جنوب الصين الى جنوب اسبانيا ..

ان رؤية مصر ، تختلف باختلاف الأفراد . فمن همه الطعام والشراب يرى مصر ، الوادى .. ومن يبحث عن المعنى فى مصر يخرج الى الصحراء .. أما مصر ((الطموح)) فهي ما بعد الصحراء حين تفرد جناحيها ويمتد نشاطها فيصل الى الشام شمالا ، والسودان جنوبا ، وليبيا غربا ، والبحر الأحمر شرقا ..

مصر هذه لعبت بالحجر والذهب .. صاغت الحجر وثقفته بالنقش واللون ، وشكلت الذهب وجملته بالبنمة والفن .

كم وثبشت مصر الحجر وأترعته أسراراً ومشاعراً فكان عملها لون من التطعيم الذى نحسبه قاصراً على الصدف

ان القاهرة أخطى عواصم العالم معماريا بأهراماتها ومعابدها
وكنائسها ومساجدها وفنونها التشكيلية .. وهى من الناحية
الحضارية أروع العواصم .

لقد عرف (جوته) العمارة بأنها موسيقى فى الحجر ... ان
عاصمتنا — من هذه الناحية — لحن رائع .

...

...

...

هذه هى شخصية مصر التى دخلت بها التاريخ ووضعت
بصمتها عليه شخصيتها التى هى وجود متميز معدود ومحسوب
وله قيم وثقافة بعينها ...

شخصية مصر كالعمود فى العمارة الاسلامية فاستقامة العمود
يترجم عن الخط الصابر الصامد ثم يلين فى انحناءة يستجيب بها
نفسه ويستمد العزم فى طريقته الى قمة .

ولا يرمز الى شخصية مصر كالثيل والمقطم انها حوار بين
الصخر والماء من يلاينها تعذب وترق كماء النيل ومن يتحداها
تصلب كالصخر ... صخر المقطم . هكذا خلقت ... انها لقاء
خلاق وحوار الائق بين الصخر والماء ... حوار يدور فى النور .

ولا ينال من شخص مصر او شخصيتها اخذها بمنطق الأحداث
... لقد تكلمت مصر العربية لأن الاسلام كان ينطلق فى المنطقة
من « كلية » معينة ... كان (وحدة) تريد أن تأخذ دورها فى
المنطقة .. وفى .. التاريخ .. ومصر قلب هذه المنطقة بلا ادعاء
او تواضع ... قلب المنطقة فى العصور القديمة ، وفى المسيحية
... وما كان للقلب أن يغير مكانه فى الاسلام ... لقد أخذت
مصر دوراً منذ عهد عثمان ... ومن لا يغيب عن المسرح لا بد
أن يتكلم لغة الرواية التى تدور على خشبته .

لقد تمسكت فارس بلغتها بعد الاسلام وما ذلك الا لانها بموقعها بعيدة عن الاحداث وعن العيون الا أن تكون مصدر فتنة أو مؤامرة .

وهذه (الكلية) في الحضارات نادى بها أخيرا في العصر الحديث « سمطس » ... **فمصر حين تكلمت العربية لم يحدث فيها (انقطاعية) في حضارتها** كما يقول الأستاذ الدكتور جمال حمدان في كتابه العظيم (شخصية مصر) مؤكدا رأى توينبى في المصريين المحدثين ومغايرتهم للقداماء .

ان لغة الحروف ليست كل الصلة بالماضى .

هناك لغة التشكيل التى امتدت عبر العصور موحدة الاسلوب والنبط والاداء فى المعبد والكنيسة والمسجد ... فى النقش والحفر والنسيج والنجارة . بل عادات ونظام الحياة .

اليس هذا كله امتدادا واستمرارا ؟

هذه هى مصر وليست كما يقول رينان فيما رواه عنه الدكتور حسين فوزى، فى حديث له عن أحياء البحر الأحمر والبحر الأبيض، ومضمونه ان مصر حينما يتعين عليها أن تلعب دورا يتصل بالنفع الانسانى العام تكون الضحية الدائمة ... حيادها لنفع غيرها والروح الوطنى مقضى عليه فيها وسوف تحكم مصر بمجموعة دول متحضرة وبلاستغلال العلمى المنظم للعالم سوف توجه الانظار الطموح الى وداى النيل !!

لا رد لنا على رينان فالعالم مملوء بعقول رينانية . كان الغزالى يقول : ان القلم على روعته ، أروع منه اليد التى تمسك به ... وأروع منه الشخص المحرك الذى يملأ عليه ... وانطلاقا من هذا المنطق الحكيم للامام ، نقول ان أروع ما شهيدته مصر :

« الشخصية المصرية » . التي أستوعبت النصر والهزيمة . .
والازدهار والانحلال والصلابة والتسيب ، والعزة والقهر . . .
عرفت مصر هذا كله . . . واستقطبت مصر هذا كله وتحدثت مصر
هذا كله . . . وتخطت مصر هذا كله . . ولم تكف عن البناء
والتشييد والعمل . . .

العمل لا فى داخل حدودها فحسب بل خارجها اذا كانت
شخصيتها فى كل العصور تفرض عليها الامتداد فى اتجاهين :

✱ اتجاه رأسى أى الى أفريقيا والجنوب .

✱ اتجاه افئى أى الى آسيا شرقا وليبيا غربا .

ومن هنا يجب أن تكون دعايتنا فى الوقت نفسه دعوة لاقضية
. . . ان من يكتف باعلان انه مظلوم ، متسول انصاف لكن قيمتنا
فى استيعاب قيمتنا الحضارية . . فى فهم دورنا المعطاء . . وكنسه
المعطاء الجديد الذى سيضيفه .

واستيعاب الماضى تحضير للعب الدور الجديد فى عملية صعود
الى المسرح ثانية استيعاب الماضى بوصلة قومية ترشده
بها الخطى وتعصمها من الضلال . . .

كان قديمائنا يحرصون على تجليد المعبد أى اقامة سور من
الطين حوله حتى لا ترهق رهيته النفس أو تذهب الالفة ، بهذه
الرغبة . ويبدو ان سور الطين نقلناه نحن حول قلوبنا فلم نعد
نرى فى الهرم والمعبد الا مكانا للنزهة لا للمعنى .

لقد ولدت مصر معبدا فلا تحولوها الى ملهى . . . حرام ،،

وقفه عند الدولة العصرية

في محاولة كتابة التاريخ من جديد نقف وقفه عند الدولة العصرية التي نتنادى بها ... وهذا النداء يتضمن الاتجاه الى الغرب باعتباره السابق ونحن نريد اللحاق به ... ومن الطبيعي الاخذ بأحسن ما عند الآخرين . ولكن يجب أن نقف وقفه خاصة عند هذا الموضوع . فان الشباب يعيش في وهم كبير اسمه أوربا ، حتى اذا أتيح لهم أن يذهبوا اليها ، وأن يعيشوا فيها ، شهورا وأعواما ، انسلخ البعض عن قومه ، ومزق الصراع البعض الآخر . ذلك الصراع الذي صوره الأديب يحيى حقي في قصته (قنديل أم هاشم) .

وغير الشباب لا تزال المجتمعات الشرقية من رواسب الاستعمار عندها (عقدة الخوافة) يقابلها عند رجال الدين المحافظة الشديدة التي تصل عند البعض الى حد التزمّت .

وفي صراع الدعوات والشعارات والآراء يعلو صوت الواقعية المادية والعلمية . ولست أرى من وراء هذا الحديث التهوين من قيمة الصناعة أو العلم الذي غزا الفضاء وترك بصمته على القمر .. أبدا ولكنني أريد وسط هذه التيارات الزاخرة ، أن

نتفاعل مع الحياة والحضارة الحديثة في تماسك يحفظ علينا شخصيتنا المصرية العربية الشرقية حتى لا يجرفها التيار فتضيع... ونكون كذلك الغراب الذى تحكى القصة على سبيل الرمز أو الحقيقة ، انه استهواه مشية العصفور وقفزاته الرشيقية ، فأراد أن يقلده بدون تفكير ، فأنتهى أمره الى مشية مضحكة ذهبت مثلاً ...

كما أن المحافظة التى أعنيها لا تتعارض مع رغبتنا المخلصة فى أن ننهى شخصيتنا ، وأن نطورها ، وأن ننفذ عنها غبارا القرون والاحداث ...

لقد ظل الادب الانجليزي فترة طويلة من الزمن ، وعلى الاخص فى عصر (بسوب) و (دريدن) متأثرا بالادب الفرنسى ، وكان سوينبرن Swinburne شديد التأثر بالشعر الفرنسى كما كان كارليل Carlyle متأثرا بأدب ألمانيا .

ولكن تأثر هؤلاء بأدب غيرهم لم يفقد أدهم توميته وذاتيته ، بل زادته ثراء وعمقا .

وكان جوته شاعر ألمانيا العظيم يجيد اللغة الفرنسية الى حد الاتقان — هذا الى اتقانه اليونانية واللاتينية — حتى قيل انه تردد يوما هل يكتب بالالمانية أو الفرنسية ، ثم أخذ يدرس الادب العربى والفارسى . وفى السبعين من عمره طرح فكرة عظيمة هى كتابه الفريد الذى سماه (ديوان الشرق والغرب) . وترجم القرآن الكريم ، بل لبس العمامة وارتدى القفطان ، وفى أوروبا ، تشبها بحافظ الشيرازى الذى كان يحبه ويعجب به . ومع هذا ظل جوته شاعرا ألمانيا صبيها يستلهم الشرق والغرب فى آن .. الصور شرقية والاحساس غربى .. توغل كما يقول أحد الذين ترجموا له ، فى هذا العالم الشرقى دون أن

يفقد شخصيته . فهو يتبع القافلة وهي تسعى على مهل في الصحراء ، ويسمع صوت البلبل ونغماته الحزينة ، حول الغدران والينابيع ، ويصفى لهذا بانتباه ، بل قرأ ترجمة المعلقات في الانجليزية ثم حاول هو ترجمتها من تأثره بها وحاول فيها حاول من معطيات الشرق ، الكتابة العربية ليتغنى بالقلم العربى المسنون من القصب في مقطوعته (القلم) .

كان جوته خير رد وأبلغه على رد يارد كسيلنج الذى قال (الشرق شرق والغرب غرب وهيهات يلتقيان) .

لقد التقى الشرق والغرب بغيهما في جوته ... في فكره وفي سلوكه في ديوانه الذى يقول فيه :

من حماقة الانسان فى دنياه
أن يتعصب كل منا لما يراه
واذا الاسلام كان معناه التسليم لله
فاننا أجمعين نحيا ونموت مسلمين .

فلماذا أضيف هذا كله الى أدبه وثقافته الغربية ، نشأ من ذلك ازدواج موفق غاية التوفيق ، وكان بمثابة عهد جديد فى الادب الالماني ، فان الشعراء المعاصرين من الالماني لم يلبثوا ان أخذوا يقتفون أثره ، وانصرفوا عن أناشيد الحرب والقتال ، لينشدوا أغاريد الشرق ، وكان أشدهم تأثرا بجوته ، أو (ديوان الشرق والغرب) الشاعران : ركر وبلاتين .

ومتى ظهر (ديوان الشرق والغرب) ؟ لقد كان هذا ما بين ١٨١٤ - ١٨١٩ فى وقت كانت ألمانيا تتسعر فيه حماسة ووطنية كرد فعل لغزو نابليون لها .

هذه المانيا .. أما ايطاليا فان بعض الباحثين الغربيين يلمح

اثر العقيدة الاسلامية في البعث والآخره ، في قصيدة دانتي :
الكوميديا الالهية .

التقى الشرق والغرب في الحضارة الحديثة التي يعزوها « وايتهد »
الى : اليونان وفلسطين ومصر . من اليونان فلسفة ، ومن فلسطين
المسيحية ، ومن مصر العلم والصناعة . أو قبل أوروبا تجمع هذا كله في
مدرسة الاسكندرية التي انتقل اليها مركز الثقافة من أثينا ، فمزجته
بتراث مصر الدينى والعلمى والصناعى حتى غدت « الهلينية » أى
فلسفة اليونان ، « هلنستية » ، بعد أن احتوتها الاسكندرية ،
وأضافت اليها ، لتؤثر بعد هذا في الفلسفة الاسلامية ثم في
الحضارة الأوروبية .

كما استفاد الغرب في مطلع نهضتهم من ايران ومصر والهند
وما وراء الهند واليونان . والواقع كما تقول الدكتور سيجريد
هونكة في كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) ، —
(ان التعصب الدينى وعدم التسامح كانا دائهما من أعدى أعداء
الشعوب فالعزلة عدو الحياة والنمو والتطور . ثم ان تبادل
الثقافة بين الشرق والغرب الى جانب الاحترام المتبادل الى التعاون
والتصافى أدى جميع هذا الى تفنق المبكرات . واذا تفاضينا عن
بعض حالات التشاحن والبغضاء التى وقعت بين العرب والأوربيين
أحيانا ، فان تعاون الشرق والغرب سيكون خيرا وبركة للعالم
أجمع)

انى لا اميل الى تقسيم الأمم الذى ذهب اليه من الغرب
« ليون جوتييه » فى كتابه (تمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية)
و « دنكان ماك دونالد » فى كتابه (تطور الفقه ونظرية الحكم
عند المسلمين) . . . ومن الشرق ، « الشهرستانى » .

ان الطبيعة البشرية واحدة فى عمومها على الاقل . . . واذا كان
الشرق بحكم حضارته القديمة ، يتعامل مع القدم والقيم بطبعه

وطبيعته ، فان الغرب بعقليته التى تهوى التحليل والتعليل يتعامل مع المحسوسات ليصل عن طريق المقدمات الى النتائج ...

الشرق كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود ، فنان .

والغرب عالم .

والعلم كما نعرف وسيلى .. والفن غايى قيهى ..

وحين أقول هذا ، لا أنفى أن العلم قيمه بما يهذب من نفس الانسان الى حد تجريدها الى أفق الموضوعية .

وهو غايى بما يحرر الانسان من الجهل .

العلم يهذب ويجرد .. والفن يصنى ويقطر وجود الانسان لاستخلاص القيمة .

كان عالم الطبيعة « أدنجتون » يقول : المتصوف والفنان لا يقل موضوعية فى تعريف الحقيقة عن العالم الطبيعى .. كما كان « اينشتين » يقول : رؤية النبى والفيلسوف والعالم ، للحقيقة واحدة من زوايا مختلفة .

وهكذا لا تعنى المحافظة التى نحرص عليها أن الغرب شر كله ، فنحن أصدقاء الانسان فى كل مكان .. ولكن الانسان المعطاء الذى يعلى الخير والحق والجمال ... فبتهوفن بموسيقاه أنبل وأكرم ، وأسمى ، وأطهر ، وأشرف من تجار الحروب باسم الحرية تارة ، وباسم مناهضة الشيوعية تارة ، أخرى ... تلك الخدعة التى كشفها شبابهم نفسه فثار ، عليها فى أوربا وأمريكا ثورة عارمة أعلن عنها فى ملبسه وسلوكه وأسلوب حياته . وألف من بينه الجماعات المختلفة التى تمثل صرخته واحتجاجه ، كجماعات الهيز وجماعة (الكريشنا) التى تؤمن بالفلسفات الشرقية القديمة بعمامة والهندية بخاصة ، وتدعو الى العودة الى روحانية

الشرق بعد أن أعمت الغرب أطماعه وأفقدته حب السيطرة بشريته ، وأورثته مجتمعاته تعاسة مرة على الرغم من الأضرار التي يضغط عليها كلما أراد شيئاً فيتحقق بسرعة ، كأن كل زر منها خاتم سليمان الذي يعيش أمنية في خيال الظلماء والمحرومين في أساطيرنا القديمة .

هذه الأضرار التي جعلت الإنسان الأوربي في مجتمعه كأنه ترس في آلة ضخمة يدور معها معطل التفكير ، مسلوب الشعور ، يفقد في النهاية متعته وحيويته وسعادته ، إذ فقد الإحساس بقيمته وغناؤه عندما حلت الآلة محله في كل شيء ، وحرمته متعة الخلق الكامل .

وحين وجد الشباب الأوربي والأمريكي اليوم نفسه ضائعاً في مجتمعه يسير معه في طريق مسدود ، وقع فريسة للمخدرات والعقاقير هروباً من واقع مزير وحياة عقيمة ، إلى حالة من الاستفراق والاحلام آملاً أن تعوضه عن الإيمان الروحي الذي أفقده في ظل الشيوعية والرأسمالية على السواء .

وقد عقد كتاب (عصفور من الشرق) مقارنات طسولة بين الشرق والغرب في أكثر من ناحية . . وفي أكثر من اتجاه من اتجاهات التفكير والسلوك لا بأس من تأملها في هذا الوقت بالذات خاصة الشباب فالكتاب عصارة سنوات في أوربا حين ذهب إليها مؤلفه شاباً للدراسة فحديثه هنا ليس انطباع اللحظة العابرة أو الملاحظة السائرة ولكنه حصيلة الدراسة والوعى المتأمل والمقارنة الحساسة .

والاستاذ توفيق الحكيم يستهل كتابه بحديثه مع صديقه الفرنسي (أندريه) عن الفرق بين الشرقى والغربى في النظر إلى المعبود .

ان الغربى يدخل الكنيسة كما يقول أندريه كما يدخل القهوة

« هناك محل عام وهنا محل عام ... هناك الارغن وهنا
(الاوركسترا) » ص ١٥

أما الشرقى فانه يعد نفسه لدخول المعبد كنيسة أو مسجدا
نهما في عينه « النساء » وليس من السهل كما يقول
« محسن » — الذى هو الكاتب نفسه — الصعود في كل لحظة .
انه لجهود ...

شرق وغرب في الحب الذى يعلنه الغرب في أى مكان وأمام
أى عين حين يغالى به الشرق ويأبى (أن تعرض العواطف هذا
العرض ، فى الشوارع والطرقات فتبتذل ، وهى التى ينبغى لها
أن تحفظ فى الصدور كما تحفظ اللآلىء فى الأصداف) ص ٤٨ — ٤٩

الحب فى الغرب على ككل شئ ولكنه فى نظر محسن
(احساسات علنا) وخفقة قلب ، ولهفة روح ، وتطلع عين ، وظما
شوق ، وتين ورجاء ... ويأس ولقاء أو لا لقاء ... أمل كالنجم
يبدو حيناً قريباً وهو جد بعيد ... هذا العذاب يراه (محسن)
أطلى وأشهى ما فى الحياة .

فرق بين الشرق الذى يؤمن بالاديان وروحانياتها وبين الغرب
الذى يؤمن بالعلم والمال وحدهما ...

ان ايمان الشرق العميق بالدين يمثله شهداء المسيحية وأصحاب
بدر ... وحين تسلم الغرب من الشرق الاديان (البسها أردية
موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ،
واقبضها صولجانات الجباه والجبروت الأراضى ! ان الكنيسة فى
أوريا كانت — فى يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها
الرأسمالى لادق نظام . وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت
المالية ، وتتوضها اذا شاعت فى طرفة عين ، فأين ذهبت كلمة
المسيح ؟) ص ١٦٥ .

ان أوربا هى الوحيدة التى أعدمتم فى يوم علماءها حرقاً ،
واتهمتهم بالسحر والجنون ، وخنقت حرية الرأى حتى فى شئون
الادب والفن ، وجعلت من المسيحية التى تبشر بالمحبة والسلام ،
سلاحاً للفتك أمام محاكم التفتيش .

عرفت حضارات الشرق (العلم) و (العلم التطبيقى) فالحضارة
التي تشيد الأهرام لا يمكن أن تجهل العلوم النظرية والتطبيقية ،
ومع ذلك فان ذلك العلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور
التي تمثل الحياة الأخرى ...

ان حضارات الشرق التى عملت للدنيا والآخرة حضارات
« كاملة » . أما الحضارة الأوربية بكل غرورها فقد قدمت للناس
بعض الراحة فى أمور معاشهم ولكنها أخرجت البشرية وسلبتها
طبيعتها الحقيقية وشاعريتها وصفاء روحها ... اننا بالقطارات
والطيارات كسبنا السرعة ولكننا خسرنا ثروة النفس التى تنمو
باتصالها بالمبائر بالطبيعة ...



والكتاب يعنى أن انسان الغرب عنده نزعة تحطيمية وهى عدم
الايان بقيمة أى قيمة ...

ان حضارة الغرب تدرس الاشياء لا الانسان ولهذا لم يكتشف
الانسان الى اليوم ...

ان مجرد وجود علم النفس دليل على أزمة الانسان المعاصر
المتشقق نفسياً .

تسود الغرب روح نهلستك أى روح عدمية .

وأوربا وأمريكا فى الحديث تقابلان التعبير التاريخى القديم
جريكو رومان .. أوربا تقابل الشق الاول : جريكو ، وأمريكا

تقابل « رومان » . فالأمريكان رومان العصر الحديث قوة وعضلات
وغشامة الأمريكى أمامه طريق طويل لكى يتحضر .. أنه
يملك المال والنفوذ ولكنه لا يملك التراث أو الحضارة .. حتى
المسيحية التى جاءت من عندنا كانت أكبر منه فلم يهضمها ولم
يعرف قيمها العليا من محبة وسلام ...

نحن فى الشرق ومصر عندنا قدرة على التكامل تعادل قدرة
الإنسان الغربى على التجريد وهو عاجز عن التكامل ... عاجز
عن الرضا .. الطبائنة ... السعادة الداخلية ...

الغربى عنده علم ووسائل .

ولكن ليس عنده غايات .

ولذلك يجدر بنا عندما نتكلم عن (روح العصر) أن ندرك أن
روح العصر هذه لها بعدان فى الزمان والمكان فروح العصر فى الغرب
عربية تحطيمية ولكن روح العصر فى الشرق شئ آخر .. تفاؤل
وايمان واحساس بالتاريخ وبالقيمة ...

إنسان الغرب فى حاجة الى روح وهو ما أراد يونج أن يقوله
فى كتابه : Modern man in search for a soul

والكاتب فى (عصفور من الشرق) ينتقد النظام الصناعى الذى
أوجد النظام الرأسمالى وينتقد أسلوب التفطيت فى الصناعة الذى
ذهب بمتعة الخلق الكامل وأورث العاملين ملالة التكرار واستشهد
بنتقد أبناء الحضارة الاوربية أنفسهم لها مثل الكاتب الانجليزى
(الدوس هكسلى) الذى يصف حضارة أوربا بأنها كم لا كيف ...

كما نقد الكاتب (الشيوعية) على لسان صديقه الروسى الذى
يقطع بأن جنة الفقراء لن تكون على هذه الأرض .. وأن
المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض ... لقد عرفت أديان

الشرق النفس الانسانية ففتحت لها أبواب السماء التى بشر بها
انبياء الشرق .. جزاء للصابرين ومن حسنت أعمالهم .

ولكن « الغرب » أراد هو أيضا أن يكون له أنبياءه ، الذين
يعالجون المشكلة على ضوء جديد ، وكان هذا الضوء منبعثا هذه
المرّة من باطن الأرض ، لا آتيا من أعالي السماء ... هو ضوء
العلم الحديث ... فجاء « كارل ماركس » ومعه أنجيله الأرضى
« رأس المال » وأراد أن يحقق العدل على هذه الأرض فيقسم
« الأرض » وحدها بين الناس ونسى (السماء) فماذا حدث ؟
حدث أن أمسك الناس بعضهم برقاب بعض ، ووقعت المجزرة
بين الطبقات تهاافتا على هذه الأرض .

وكأنه القى تفاحة بين أطفال يتلمظون !

وكأنه هذا الكارل ماركس القى قنبلة المادية والبغضاء واللهفة
والعجلة بين الناس ...

أما أنبياء الشرق فقد ألقوا زهرة (الصبر والامل) فى النفوس .

ان روح (المسيحية) كما نبعت فى الشرق : هى المحبة والمثل
الاعلى ... وروح (الاسلام) الايمان والنظام .. ومسيحية اليوم
فى الغرب هى : (الماركسية) .. أما اسلام العصر الحديث فى
الغرب فهو (النازية) .

تلك هى الديانات التى استطاع الغرب أن يخرجها للناس يوم
أراد أن يزاحم الشرق ويخرج للعالم أديانا .

فى كتاب (عصفور من الشرق) روح اشتراكية خيرة فى غير
عنف ، عادلة فى غير تعسف أو تخريب . فهو يحلم بالسلام والحب
والرخاء للجميع وينفر من رق رأس المال وتحكمه ...

(ان الغرب يستكشف الارض ، والشرق يستكشف السماء ...
 اننا نمجد ذلك الذى أسكن الانسانية (قارة جديدة) لكننا لا نرى
 مجد ذلك الذى اصعد الانسانية وأسكن الانسانية « السماء » .

ولا يعنى هذا تفضيل الكاتب الشرق على غلاته فقد احاط
 بضعفه حين استسلم للاستعمار كما انه لم يتردد فى الاشادة
 بالغرب كلها وجد موضعا ...

فالمسرح فى الغرب ليس كذلك الذى وصفه عندنا المويلحى فى
 حديث عيسى بن هشام ، ولكنه مسرح يخيم عليه سكون قدسى
 كسكون المعابد .

وموسيقى بيتهوفن ان هى الا (وحى السماء يتكلم بمختلف
 المشاعر العظيمة التى رفعت الانسانية الى هذه المرتبة) . ويؤمن
 على كلمة « نيتشه » فيه (كل العواطف البشرية السامية فى
 السيمفونية الخامسة) .



وهناك عصفور من الغرب يجب أن يقرأه الشباب ليستردوا
 ثقتهم بأمتهم . أعنى كتاب (شمس الله تشرق على الغرب)
 للدكتور سيجريد هونكه وهو كتاب عالمى لو لم يكن علمى المنهج
 والتفكير والأسلوب لما استقبلته اللغات والشعوب هذا
 الاستقبال .

ما هى دلالة المظاهرات الصاخبة التى تقوم فى أشد بلاد أوروبا
 تقدما ورتيا ، ان هذه الظاهرة تعنى انتقاد هذه البلاد للروح ...
 لا أعنى أن هذه العبارة تنسحب على كل من فيها ... ان الانصاف
 يقتضينا أن نقول أن طغيان المسادة فى أوروبا لم يطمس كل شيء
 فيها كما ان الايمان فى الشرق باعتباره مهبط الاديان السماوية
 كلها لا يسرى فى كل قلب ولا يلهم كل نفس حتى وان أدت

الفرائض في ميكانيكية آلية فكم من صائم بيننا ليس له من صيامه
الا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من صلاته الا القيام
والقعود .

ان الدين حسن الخلق وأن الاعمال بالنيات وأن أنفع الناس
أنفعهم للناس وأن العمل عبادة وأن التفكير فريضة اسلامية لانها
فريضة انسانيه وان الانسان أكرم المخلوقات وان احترام العقل
الانسائي واجب ديني فهل ندرك هذه المفاهيم ونقدرها حق
قدرها ؟ هل نطبقها في حياتنا على المستوى الفردي والمستوى
العام ؟

اننا نبسمل كثيرا ونحوقل ونشيع العبارات الدينية في حديثنا
حتى ليخيل الى من يرانا أن أطرافنا تقطر تقوى ولكننا في بلاد
القبليين والمسجدين والانبيا والرسالات نجد أن الاعمال الاكثر من
المستشفيات والملاجيء والمدارس من عمل الحكومات لا الافراد
الخيرين . ان اعظم عمل يقوم به الفرد الغنى منا في نظر نفسه
اذا هزته أريحية أن يبنى مسجدا والمساجد كثيرة والاسلام لم
يحصر العبادة بين جدران أربعة .

ولو فتشت في التاريخ لوجدت أن عصر بناء المساجد الكثيرة هو
اشد عصور التاريخ الاسلامي ظلما وعسفا واستبدادا
فأكثر مخلفات الممالك في مصر كانت المساجد ، والممالك
هم من هم ، كما نعرف ، في الجور والنهب ، والسلب ،
واستباحة الأنفس والأموال فبناؤهم المساجد ما هو الا تغطية
او تكفير عن الذنب .

فنحن في سبيل الاحتفاظ بالنظرة الموضوعية وتوازن الشخصية
الفكرية يجب الان نعمم الآراء بغير استثناء والا نطلقها اطلاقا
مسلطا يحجب الاعماق ويحجب معها حقائق كثيرة .

نحن نشكو اليوم من أمية العقل ونغفل عن أمية أخرى لا تقل عنها خطراً وهي أمية الشعور . . حين تعمر أوقافنا بالأمس القريب والبعيد بلفتات إنسانية مضيئة فهناك وقف على الخدم الذين يكسرون بدون عمد آنية مخدمهم وهناك وقف على الحيوان لأنه أعجم لا يبين وكثير غير هذا مما ينم على رهاقة الشعور وشفافية النفس .

أقول هذا حتى لا نستقيم الى القول بأن الشرق روح والغرب مادة ففي ذلك الغرب أمثال اللورد نافيلد الذي أنفق الملايين حقيقة لا مجازاً على إقامة المستشفيات والملاجئ ووجوه البر الايجابية .

وفي الغرب المادى أمثال العالم الفرنسى جان رويستانت الذى أثبت فى أبحاثه وجود عالم الروح وأعلن عن وجود قوة خفية تسير الكون .

وفي الغرب المادى متصوفة مثل سوينبرج يلتقون بالحلاج ورابعة العدوية . . وفي الغرب المادى زهاد كابى العتاهية يصلح شعرهم الروحى غذاء للنفوس كالشاعر الانجليزى وليم بليك .

وفي الغرب المادى أسر كبيرة وكثيرة تحافظ على أداء الفرائض الدينية محافظة دقيقة بل فى الغرب أسر تنذر أحد أبنائها لله فتجد قسسا ورهبانا ينحدرون من أباء ذوى مراكز مدنية مرموقة .

وأسر أخرى محافظة لا تسمح بالاختلاط المفتوح على مصراعيه ولا تبجح الجلسة أو الرؤية الا فى نطاق الاسرة أو وجود أحد المحارم . وقصة اقتران لويس باستور بزوجه خير شاهد على هذا .

ان ستيفان زفيج فى مذكراته يعزو رقى العلم فى فرنسا الى

الزوجة الفرنسية فهي بما تبذله من ذات نفسها لتوفير الراحة لزوجها انها تمنحه السلام النفسى الذى يعينه على الانتاج والعطاء.

ولكننا ننسى هذا كله أو نناساه ولا نذكر للمجتمع الغربى الا الخلاعة المحصورة هناك فى مناطق معينة والا نظام الترسى الذى يمكن له هناك استحالة الطلاق حين نغفل أخطاءنا وأحيانا عن عمد بدعوى الوطنية مع أن المرء مرآة أخيه

ليست النظافة فى ديننا مقرونة بالإيمان بل هى منه حتى ليخيل الى من يقرأ النصوص والتعاليم أن الدين سدها ولحمته النظافة والحياء فهل نحن حريصون على مظاهر النظافة حتى فى أنفسنا ؟ هل من الحياء فضولنا غير النافع الذى يدس أنفه فى ثقب كل باب وينفق من وقته فى جمع الاخبار الصغيرة ما لو أنفقه فى تحصيل علم أو جنى معرفة لاثرى شخصياتنا فتغير الكثير من أساليبها فى الحياة وتعدل تبعاً لهذا التغير الكثير من مفاهيم مجتمعاتنا وأختبى الكثير من أمراضنا الاجتماعية وتتقدمنا خطوات نحو حياة أفضل ؟

ان تقديس العمل واجب ، كما أن تقدير العاملين واجب أيضا فهل نحن وذوو المرتبات منا خاصة يلتزمون الامانة الواجبة فى تأدية أعمالهم ؟ وهل عندنا نظام الحوافز الذى يكافئ الجهود المخلصة ويستحث الجهود التى على الطريق ؟

ان الذين رأوا منا الغرب على الطبيعة وتعبقوا الاشياء والدلالات عرفوا كيف يميزون الحدود . الفاصلة بين الخير فيه والشر وعرفوا كيف يأخذون أحسن ما عنده ويضيفونه الى أحسن ما عند الشرق لينصلح أمره . ويبصر طريقه فى غير تشبیط أو تضليل من دعاوى استعلاء أو غرور .

ومن هنا قامت نهضة الشرق على اكتاف رعاة الطهاوى وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده ثم على اكتاف تلاميذهم من بعدهم .

بل أن الشيخ محمد عبده كان يقول بعد أن عاش الغرب حين كان يحرق (العروة الوثقى) في باريس :

(أن أهل أوروبا هم مسلمو هذا العصر .. أما نحن فكفرته) .

قد نكون معذورين في نظرنا إلى الغرب بمنظار أسود فإن الاستخراب ولا أقول الاستعمار قد لوث فكرتنا عنه وأورثنا البغض الشديد لكل ما هو غربي — وإن كان بعضنا يقف في الطرف الآخر متحمسا لكل ما هو غربي كرد فعل ، أو لون من الجمع بين الشيء ونقيضه ، أو لاعتبارات شتى من نوعية الثقافة أو النشأة . قد نكون معذورين ولكننا في مقام تقويم أنفسنا وتمييز ذاتيتنا يجب أن نحرر أراقتنا وعقلنا من أسر النظريات الشائعة والأقوال السائدة ونعيد النظر في كل شيء في موضوعية وتجريد علمي نزيه .

إن ابن البلد عندنا فلسفته أن يتعامل مع الوجود بغير بحث مكتوب .. أسلوب حياة ... وهو يكره التعقيد والتقليد ويجمع هذا قوله لحدثه إذا تقعر أو تشدق : بلاش فلسفة وهو يعني بلاش بغبغة ...

إن داخل كل إنسان مبدأ للحياة ، قد يولد إنسان ويموت دون أن يكتشفه ، ولكن هذا لا يعني أنه غير موجود ... وواجبنا أن نعين النشء على الانبعاث السلوكي على مستوى الأفراد ، ونعين الأمة على الانبعاث السلوكي على مستوى الجماعة ...

ومن هنا يتحدد موقفنا من حضارة الغرب ... بمعنى أننا نستطيع أن نبتعين بعلوم الغرب وفلسفاته وبالوسائل الحضارية دون أن نفقد ذاتيتنا . فرجلهم (يونج) يقول (لا يمكن للإنسان أن يصير غنيا بالاستجداء) ...

إن التعارض بين الشرق والغرب ، فات وقته كما يقول الأستاذ مريت غالى (لأن تعارضا أخطر قد برز في مقدمة المشاكل العالمية)

هو الناتج عن مساهمة الخلف بين البلاد الشمالية المتقدمة والثرية، والبلاد الجنوبية المتخلفة والفقيرة ، وما التعارض بين شرقنا وغربنا في حوض المتوسط سوى جزء من ذلك التعارض العالمى بين الشمال والجنوب ، الذى يتوقف على حله مستقبل الجنس البشرى وانى أوافق تماما على أن ثنائية الشرق والغرب قد مات وقتها ، ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين) .



نريد أن ننظر الى الحياة نظرة مستقبلية لا تجذبها الى الخلف والتخلف سلاسل الاوهام . . وذلك من أجل مصلحتنا نحن قبل الآخرين . . .

لنسال أنفسنا : كيف نعيش ؟

ليس من عيش كمن عيش

كيف نعيش ؟ نحن في طريقنا الى تصحيح وضعنا السياسى من دول الاستعمار ، وثبيت وجودنا الحضارى بين دول المدنية الحديثة في حاجة الى تصحيح كثير من الاوضاع الاخرى واعادة تقييم كثير من المفاهيم والعادات والتصرفات في حياتنا ..

نحن لا نحيا حياتنا كما يحيا الناس .. ان كثيرين منا لا يعرفون معالم بلادنا كما أنها خلقت للسياح وحدهم ... وذلك أن الفرد العادى يتبع عقله عينه فهو لا يفكر الى أبعد مما تنظره تلك العين ... انه يؤدي عمله المسائل أمامه في رتابة مملة لا تجديد فيها ولا ابتكار ولا فن فاذا فرغ منه عاد الى بيته مكدودا من الخمول لا من التعب ، أو انحط على كرسى في مقهى يحتسى الشاي ويلعب الورق ... ولو انتشرت في مدننا الحداثى العامة والنوادر الخاصة والمسابقات الرياضية والفنية ، والندوات الادبية واللقاءات العلمية لتغيرت نظرتنا الى اوقات الفراغ وتغير أسلوبنا في العمل أيضا .. ان الأصحاء في البدن والعقل يجدون ويلعبون ويضحكون ويتمتعون بأطياب الحياة التى أحلها الله .

ان الرياضة لعب .. وركوب الخيل لعب ، والسباحة لعب ،

وان الضحك يجدد شباب القلب ويلون الحياة بلون وردى فينشط
الانسان بعده للعمل .. والعمل الجاد اذ وجدت عنده الطاقة له
والقدرة عليه ..

ان السفر والرحلات متعة وثقافة معا .. كم من الاسر عندنا
يعيشون حياتهم على هذا النمط .. بل كم من الاسر يخرج افرادها
معا ويتساوون في الحقوق والواجبات ، ويتعاونون داخل بيتهم
الواحد !

كم بيتا من بيوتنا فيه مكتبة للقراءة وفيه آلة موسيقية يعزف
عليها هاو من أفراد الأسرة ؟

لقد رأيت أيام الاحاد في البلاد الاوربية أياما مقدسة فيها الصلاة
في الكنائس وفيها الصلاة في محراب الطبيعة .. مهرجانات ورحلات
بالزوارق في البحيرات وقطارات تغدو وتروح بهواة الصعود الى
قمم الجبال .. والمطاعم ليس فيها مكن خال لان الكل يريد تغييرا
شاملا .. يريد أن يقضى يوم الاحد كاملا في الخارج ينتقل من متعة
الى متعة .

كيف نقضى نحن يوم الجمعة ؟

اننا لا نقتصنا الصناعات بأنواعها من خفيفة وثقيلة بل نقتصنا
وفي المقام الاول أن نعرف كيف نعيش .

واذا لم يكن في استطاعتنا أن نطيل أعمارنا أكثر مما قدر لها ففى
مقدورنا أن نجعلها أغنى ، وأعمق ، وأجمل ، وأهنأ ، وأبقى
أى نميشها بالعرض ... أن نملا كل دقيقة من حياتنا بالبهجة ،

الضحك من القلب بهجة ، وادخال السرور على الناس بهجة ،
والعطاء ماديا وفنيا بهجة ، والخلق بهجة ، وتذوق الجمال والفن بهجة ،
ومنح الحب بهجة ، وإزالة العثرة بهجة ، والقراءة بهجة ، والرحلة

فى الارض بهجة وكذلك الرحلة فى النفس والرحلة فى الزمن ،
والرحلة فى الماضى .

الانتصار للحق بهجة ، واقرار العدل بهجة ولو انها غالية
التمن ...

كم من مباهج تزخر بها الحياة ولا يراها بعض الناس .
ولكن هذه المباهج غذاء للروح فماذا عن الجسم؟ ما هو أسلوبنا
فى الطعام ؟

لقد قلت أن المطبخ المصرى آفة من آفات الشخصية المصرية
فماذا نأكل وكيف نأكل ؟

وليس المقصود بالاكل ملء البطن بالطعام والشراب فذلك
لا فنى فيه ولا خير منه .. ولكنى أقصد بالاكل نوعيته لاحجه ...
الكيف لا الكم .

ان المقصود بالطعام أن يكون غذاء أى يحتوى على عدد معين
من السعرات الحرارية ويحتوى على نسب معينة من النشويات
والسكريات والدهنيات بحيث تمد الجسم بالطاقة المطلوبة له .
نهل يخطر ببائنا هذا كله ونحن نعد طعامنا ثم نتناوله؟ أم اننا
ننشد أولا حسن المذاق ؟ ولذة الطعام ؟ هل نأكل مثلاً فى مواعيد
ثابتة لا تتداخل ولا تختلط ؟ هل نتبع نظاماً معيناً ؟ هل تلقن صغارنا
آداب المائدة وأسلوب المأكلة وكيفية استعمال الأدوات المختلفة؟

لقد جنى علينا فى سائر البلاد العربية تقريباً المطبخ التركى
بفسمه ولذائذه التى تحمل فى ثناياها كثيراً من أمراض المعدة
والكبد ونحن نعلم جيداً قول النبى صلى الله عليه وسلم (المعدة
بيت الداء والحمية رأس الدواء) وقال فيها يتصل بقواعد الطعام
(نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) وهى قاعدة

صحيحة لا تخيب .. ومن العجيب ان علماء التغذية لم يزدوا عليها شيئا بعد بحوث طويلة حصيلتها في النهاية عدم انزال طعام على طعام وعدم الامتلاء ..
ان أمراضنا كلها لو حللتها ترجع الى : افراط التغذية أو ضعف التغذية أو سوء التغذية وما يتصل بهذا كله من عادات سيئة تتفشى فينا .

لقد رأيت في سويسرا عددا كبيرا من المسنين الذين يتجاوزون السبعين وهم منتصبو القامة . منتظمو المشية ، نشيطو الحركة .. لا يزالون متفتحين للحياة ولهم فيها مشاركة ايجابية . بل اننا في احدى الرحلات الليلية على البحيرة اخترنا نحن أن نأخذ مكاننا داخل الباخرة حين كان رجال ونساء في سن آبائنا بل أجدادنا يجلسون على السطح في الهواء الطلق كما يقولون ... ومن الطريف أن هذا الهواء الطلق كنا نسميه نحن بردا قارسا .

ان هذه الصحة سرها كله في نظام طعامهم الصحي الذي يعتمد على الخضروات الطازجة والفواكه المسلوق ...

تري هل نأخذ عبرة ؟ مع أننا نعيش في جو حار ، وأرضنا تجود فيها الخضر والفاكهة على مدار السنة ؟

* * *

هذا عن أنفسنا . ونعود الى السؤال مرة أخرى متصلا بأولادنا . كيف نعيش في أطفالنا ؟ أى ماذا نعطي لأطفالنا ؟

هناك يعطون للطفل الكتاب المصور ، والصور الملونة ، واللعبه الموجهة التي يجد متعته كلها في فكها واعادة تركيبها ... يعطونه الطعام الصحي لا الدسم ... يعطونه الحنان الرشيد لا الضمار الذي يفسد شخصيته ويجعلها اتكالية وشديدة الحساسية من غرط ما ألف من التدليل والاستجابة العمياء التي هيهات أن يعثر عليها في الحياة العامة عندما يصبح رجلا أو امرأة ..

هناك يعطون الطفل البرامج الجميلة والانلام الخاصة ويعطونه العلم مدروسا ومشوقا .. هناك القواميس الملونة الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف الخاصة بالاطفال ودوائر المعارف للزهور والنباتات .. كل شيء هناك مدروس من أجل الطفولة ...

أمامى منهج المحفوظات الانجليزية الموضوعة لاطفال السنة الثالثة بالمرحلة الابتدائية ... وجدت فيها مثلا هذه القطعة عن (عبور الطريق) وترجمتها :

قف وانظر واسمع
قبل أن تعبر الطريق
استعمل عينيك وأذنيك
ثم استعمل قدمك .
انظر يسارا ويمينا
عندما يكون الضوء أحمر قف
عندما يكون الضوء أصفر استعد
عندما يكون الضوء أخضر سر آمنا
وقطعة أخرى تقول تحت عنوان : (بذرة البرتقال)
لا ترم أبدا بذرة البرتقال
على الأرض أرجوك
ان قطعة منها تحت كعب
قد تكسر قدما

بدون تعقيد .

هكذا يعلمونهم الحياة والسلوك بدون خطابية ... وفي سهولة
وفي كتاب آخر خاص باللغة رأيت فيه كيف يعلمون الكلمات
الانجليزية بالشعر الخفيف مثل : ضع حرف كذا مع كذا فيصبح
عندك قطا .

وضع حرف كذا مع كذا فيصبح عندك كرة .

ومع هذه المسميات صورها ملونة وفي أوضاع مضحكة تسر
الطفل وتسليه .

هكذا يعلمون لغتهم حين نبدأ نحن تعليم لغتنا لأطفالنا بالنحو
ونلقنهم في جدية صارمة أن الكلمة تنقسم إلى اسم وفعل وحرف
فإذا وصلنا إلى (الجملة) فلا نجد في لغتنا التي نطنطن بغناها
ووفرة مفرداتها إلا هذه الجملة التي لا تتغير كأنها تحفة :

(ضرب زيد عمرا) !!

وهي سيئة لفظا ومدلولا وأثرا في نفوس طفلة سهلة الالتقاط
والانطباع .

ثم نلوم أولادنا ، كبارا ، على تصرفاتهم ثم على نفورهم من
دروس اللغة العربية !!

لخص الأستاذ سامح الخالدي عيوب التعليم في مؤثر الدراسات
العربية سنة ١٩٥١ فإذا بهذه العيوب لا تزال مُموسة اليوم أي
بعد ربع قرن تقريبا . ومما قاله عن مدارسنا في البلاد العربية بعامة
أن (التدريس فيها ميكانيكي يعتمد على ذاكرة الطالب في الدرجة
الأولى . والاعتماد على الحفظ هذا من ميراث عصور الانحطاط
خاصة . كما أن الفرد فيها مهمل ، ف شخصية الطلاب مضغوط
عليها . ولهذا تؤلف وحدات مكبوتة ، وقد شل فيها ابتكار الطالب
وتفكيره الحر الطليق وخياله . والروح الرياضية الحقبة معدومة
فيها ، فالألعاب تلعب للغلبة ، وما زال الفرد فيها هو المهم ،
وما زال الجمهور . يصفق للفرد اللاعب فيها لا للمجموع . كما أن
التربية الدينية الحقبة الممثلة في المثل العليا لا وجود لها . فالدين
مفهومه الحقيقي لا يؤثر تأثيرا فعلا في حياة الطلاب من الناحية

الخلقية . والتدريس الدينى سطحى ، والروح الدينية التى تدعو الى مكارم الاخلاق ، والى أنصاف الناس والتزهد عن الصفات المفقودة . وكتب الدين سقيمة لا تنفى بالمراد ، ولا تنمى هذه الانظمة الشعور الوطنى ، أى شعور التمسك بالوطن والاستعداد للتضحية من أجله ... الخ) .

وأضيف أن من عيوبنا التركيز على الكلمة وحدها وإهمال الصورة ... والصورة المقصودة الـ Image بعد ربع قرن تقريبا أى الصورة المحسوبة ثقافيا .

يجب أن نتجه الى التعليم الموضوعى للطفل بالصورة ... بلغة المنظر . فنعرض له بالصورة الطبيعية الملونة ، **الحيوان** (كموضوع) فى جميع العصور والمناطق : فالحيوان هو (الحياة) والله يسمى الدار الآخرة (الحيوان) إشارة الى الحياة الأخرى . يجب أن ننفض عن أطفالنا تراب العادة والمفاهيم الثابتة .

موضوع **العمارة** فى جميع العصور والمناطق (معبد ، كنيسة ، مسجد ، ملعب ، متحف ، مدرسة ... الخ) .

والعمارة رمز المدنية والمدنية لأنها تساوى الاستقرار .

العمارة مسرحية متعددة الشخصيات والأرواح .

موضوع **الآلة** أى **العلم والصناعة** فى الفن والحياة مثل ظهور السينما — الكاميرا — التليفزيون — الآلة .

التعليم الموضوعى للطفل نقسمه الى ثلاثة أقسام :

١ — **ما قبل الحضارة** — ويمثله عالم الحيوان .

٢ — **اكتشاف الحضارة** — وتمثله العمارة .

٣ — **الحضارة فى خطر** — وتمثله الآلة .

يكفى أن يعرف الطفل بعد عرض الكثير ، أن هذا جزء من الممكن
 ليصير عنده احساس بالندم علـه يخرج منه تولستوى آخر أو
 غزالى آخر . أن الفن أسلوب فى رؤية الوجود وليس (غورم) .

أما المعلم فيجب أن يكون موجهاً للمعلم الملقن يحجب العمل
 الفنى كما أثرت . وخير وسيلة للتعليم كما يقول تولستوى هى :
 العمل .

هناك يلجأ ون الى طريقة الحفز فى التكليف بالواجبات كأن يقول
 المدرس لتلاميذه : كل منكم يعمل فى المساء ساعة فى الحساب فى
 باب كذا . . ولا يحدد عدد المسائل ، فالذى يحدث عادة أن كل
 طالب يحل عدداً من المسائل أكثر كثيراً مما يملأ ساعة ، اظهاراً
 لقدراته وتسابقاً مع زملائه ، وارضاء للمدرس . . يفعل هذا
 الطالب وهو راض ، بل مزهو ، لأنه يشعر أنه يعمل بمحض
 اختياره وهو فى الحقيقة مدفوع دفعاً غير منظور . .

السنا بحاجة فى سائر المجالات الى أسلوب الحوافز بدلاً من
 أسلوب الامر والنهى الذى نهواه جميعاً ، ونمارسه بمجرد أن
 تمنح فرصة ، وليته يجدى فنان الذى يقرأ مذكرات النابهين منا ،
 أو من غيرنا يروعه أن الاوامر والنواهى التى وقفت فى طريق
 هواياتهم ، سواء فى الأسرة أو فى المدرسة أو حتى فى الحياة العامة ،
 لم تثنهم عن عزمهم بل زادتهم اصراراً ، وأثقلت رغبتهم . فتوفيق
 الحكيم أراد أبوه أن يكون قانونياً ، لا أديباً فناناً . وتوفيق الحكيم
 بدوره أراد لابنه اسماعيل أن يكون مهندساً ، فإذابه اليوم عازف
 جيتار وقائد فرقة موسيقية . والموسيقار القصبجى أراد له
 أبوه أن يكون عالماً فى الأزهر لا موسيقياً . والدكتور طه حسين
 أراد له أبوه أن يكون عالماً فى الأزهر ، فإذابه يشور على نظم
 التعليم فيه فى ذلك الوقت ، ويتجه الى الجامعة المصرية ويتعلق
 بها طالباً فاستاذاً فعميداً . .

لقد وصل هؤلاء حقا الى بغيتهم ، ولكن بعد تبديد طاقات كثيرة في المقاومة ، ومحاولة الملاعة والمواعة بينهم وبين مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة ، لو وفرت هذه الطاقات لتسير في طريقها الاثير عندها ، ليكر عطاؤها وتضاعف .

ولكن تغيير اسلوبنا لا يأتى عفوا ، بل يجب أن يبدأ من البداية أى من البيت والمدرسة ، فان مفاهيمنا في التربية ، ومفاهيمنا في التعليم ، آفة من آفات الشخصية المصرية .

ان الطفل هو الانسان الجديد الذى لم يزيغه الكبار . والنظرية التى تقول ان كل انسان يحتوى كيانه فضلا من أى نوع ، نظرية صحيحة تربويا وديمقراطيا . . فلماذا نصر على القاء التعليمات ونسرف فيها ؟ لماذا حين تستبد بنا شهوة تغيير شئ في الطفل ، لانسال أنفسنا كما يقول « يونج » عما اذا كنا نحن في حاجة الى التغيير لا هو ؟

ان الإنسان صغيرا أو كبيرا في حاجة الى « السيادة » . . أن يكون سيد نفسه أى قادرا على العطاء محققا لذاته . . . حتى للقرآن والانجيل يجب حين نقرؤهما أن نسمعها من « الداخل » ، في عملية تجديد الفكر الدينى كما يقول « اقبال » ، فان توكيد الروح الذى سعت اليه المسيحية يتحقق لا باستبعاد القوى الخارجية التى تخترقها أنوار الروح بالفعل ، وانما يتحقق بتنظيم علاقته الإنسان بهذه القوى الخارجية ، على هدى النور المنبعث من العالم الموجود فى أعماق نفسه . . يمثل هذا الاسلوب تربية المدرسة ، شخصية الطفل حين تثبت فيه وعيا خلاقا للقيمة والاخرجت منه فردا مكررا ضائعا فى الزحام . . ويسرق بين الفردية والشخصية .

الشخصية تولد طفلة ثم تنمو ، غذاؤها العلم والتجربة والحياة .. وهى قابلة للنمو الى غير حد ...

أما أسلوب التلقين المتبع في مدارسنا فانه يصنع قوالب لا شخصيات . واذا كان ناقل الكفر ليس بكافر ، فان ناقل العلم ليس بعالم .. وانها العالم هو الخلاق المبتكر .

الشخصية هى الذات الساعية الى تحقيق ذاتها بالخلق . الشخصية تكامل لامكانات البشر أى . غريزة + فكر + روح : أى بشرية محققة .

يقول الدكتور أحمد زكي في مؤتمر الدراسات العربية الذي عقد ببيروت سنة ١٩٥١ والذي طبع في كتاب العرب والحضارة الحديثة .

(ان التعليم عندى مفتاح كل مغلق من مغالق الحياة ، في شرقنا هذا العربى . ولو أنى خيرت بين أشياء كثيرة يعطاها العرب ، با اخترت المال ، ولا اخترت الاستقلال ، ولكن اختار التعليم يشمل ويعم ، فهو الوسيلة الى المال ، وهو الوسيلة الى الاستقلال ، وهو الوسيلة الى فتح كل باب مغلق يتدفق منه الخير كثيرا ونيرا ..) .

ولكن أى تعليم ؟

هل تعلم المدرسة المصرية والعربية ، الطفل حب الطبيعة باعتبارها الام الكبرى التى تتطلب منا نحن معشر الإبناء أن نبحت وندرس ونتأمل ونتحرك ساعين في الارض ، متحدين للعوائق في اعتماد على النفس ؟
الطبيعة أم معلم ومرب ...

أم لا تفطم وليدها ، لانه لا وجود له خارج رحابها ، فالشاعر

العربى حين صور الشمول ، لم يجد الا مظهرا من مظاهرها فقال
لمدوحه القادر عليه :

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن المنتأى عنك واسع
ليت المدرسة تعلم الطفل أن الطبيعة كتاب الله الصامت ،
كما أن القرآن كتاب الله المقروء .

والقراءة فى الحالىن أو الكتابين ، تتطلب النور المادى لرؤية
الحروف . وتتطلب أكثر النور المعنوى لرؤية ما وراء الحروف ..
لرؤية المعانى الحقيقية . والنور المعنوى هو الرغبة والشوق
والحماسة ... انها كالزواج قبول وايجاب ... كثيرون يقرأون
ولا يستفيدون كأولئك الذين يتزوجون ولا يسعدون ... نحن
نزور القبول فى القراءة ، وفى الحياة بشكليات .. تصفح النص
من الخارج دون الفوص فيه والامتزاج به ، كسؤال العروس بينما
يجب أن تقبل أولا ... أن تختار ... ترضى ثم يأتى عقد
القران وكم من نساء يتزوجن ويلدن ويعشن فى الحرام على
الرغم من عقود الزواج ... وكذلك الكتاب الذى يقرؤه عجلان ، مع أن
القراءة الحقيقية تأمل وتودد وصبر يكون كالرافعة الوجدانية تنقل
القارئ من حالة عادية الى مرتقى عال .

هل تعلم المدرسة البنت كيف تلبس وكيف تجلس وكيف تتحدث
وكيف تتزين وكيف تتصرف ومتى تتكلم ومتى تصمت ؟ هل
تعلمها أن الجبال الغالى (تركييه) صعبة من هذه السمات
جميعا ؟

هل تعلمها أن الحب ليس الفارس والحصان الابيض ... الخ
تهويمات القصص والاساطير التى يكتبها أصحابها لتزجية الوقت ،
أو تسلية الفراغ عند الحالمين والحالمات ؟ وأن الف ليلة
وليلة قد يكون فيها الكثير من حياة عصرها ولكن عصرنا لا .

هل تعلم المدرسة ، البنت ، أن مجنون ليلى أو قيس ولبنى ،
أو جميل بثينة أو كثير عزة ، أو العباس بن الاحنف و « فوز » أو
ولادة وابن زيدون قصص شعرية ، شاعرة وأنها مع هذا صحيحة ،
ومنها لمسات انسانية الا أن عصرنا له طبيعة أخرى ؟

هل تعلم المدرسة البنت أن عصرها قطع أشواطاً بعيدة بعد
(آلام فرتر) ، و (رفائيل) و (حياة لامرتين) و (رورميرو وجوليت)
و (كليوبطرة) ؟

في سائر اللغات قصص لا تحصى عن الحب .. ومع هذا فالحب
لا يصلح للاقتباس كمنون الادب ، أو التقليد كالازياء .

وليست اللغات وحدها فالتاريخ زاخر بقصص الحب ... لم
ينج منه أحد حتى رجال الاديان .. من عفا منهم كقص سلامة ،
ومن أسف ، كراسبوتين ...

ومع هذا فالحب ، الحقيقي ، في سائر ألوانه نعمة وعطاء
وحنان ... والذي يخنو يمنح ولا يسلب ، ويسمو ولا يقسو ،
ويلين ولا يجفو ، ويتسمح ولا يشتط .

هل تعلم المدرسة أو تسلم بالجنس تطرحه في موضوعية علمية
مصقولة ، بدلا من أن يدور الهمس بين رفقاء العمر وتتخافت
الاصوات ، ويعلو الضحك المكتوم ، وتتقارب الرؤوس ، ويطل
الفضول كله من العيون ، وتدمى الشفاة من العض عليها من
الخلج المصطنع أو الحقيقي ؟ مما يلقي في الروع أن الجنس على
اطلاقه عيب وفاضح وفادح ؟

ان العيب هو امتهان الجنس والاباحية .

هل تعلم المدرسة البنت والولد على السواء كيف يختار شريك
الحياة ؟ على أساس من التقاء الشعور والفكر معا ؟ فانه لا يطنء

القلب مثل تفاوت المستوى الفكرى بين زوجين يكون أحدهما فى واد ، والآخر فى واد آخر . . . انها الوحدة القاتلة وان رأهما الناس ، وسقف البيت ، اثنين .

لا يكفى أن يعيش الانسان بل لا بد أن يحيا .

وعندما يتحول الزواج مع الشيخوخة الى الفة قوية ، وصداقة عميقة تكون مواهب الروح خير بديل عن متعة الجسم التى يكون الزمن قد فرغ من التهامها . . ولكن الزمن نفسه لا يستطيع ممارسة هوايته المفتونة بحفر التجاعيد ، مع الروح الخضراء المتجددة النظرة .

ولكن ليس معنى هذا عبادة العقل وحده فهو أحيانا عند بعض الناس يتسيد على حساب جهود العاطفة أو نضوبها . . . وهذا الطراز لا تسعد صحبته . . ان رحلة العمر تحتاج الى القلب والعقل معا . . الى الجسم والروح معا . . وافتقاد عنصر من هذه العناصر يسلم الى الشقاء الذى يستعصى على العبادات النفسية .

لابد من هزة عنيفة للمدرسة المصرية فنيها بعد البيت ، يعناد اليوم بناء الشخصية المصرية .

أى يعاد كتابة التاريخ .

وبعد : بعد كل السلبيات التى ذكرت بعضا ولا يزال فى النفس حاجات . .

ماذا أقول ؟

ليس عندنا قصد فى القول ، أو تحديد للعبارة . مها يفسد علينا ذكاء الهدف وغايته الكبرى . . . والا فهل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذى وقفت وراءه وراثت أمة وصبرها وتقديرها وتحضرها

وقد رثتها القديمة في الإدارة ، ثم عذابها بالهزيمة والقهر ولهفتها على الأرض والنصر ... هل يعقل أن ننزل (بالعبور) الذي يمثل ويتمثل هذا كله الى ما نسمعه في وسائل الاعلام من التشويق بالعبور بمناسبة وبغير مناسبة ؟ وما درت أن النبغة تقلل من الحدث التاريخي التحولي ، وتهبط به الى مادة دعائية أو اعلان ميلامين . ليس عندنا حلم ثقافي ... أو حلم فني على الرغم من وجود الجامعات وتعددتها .. حتى التراث ، حفظه في مفهومنا ، معناه تجهيمه وتشوينه مع أن الحفاظ عليه يعنى تفهمه وذكره واستلهامه .. ان حياة العلم مذكرته .. يروى الغزالي أن أحد الصحابة قال يوم مات عمر : اليوم مات العلم . ولم يكتب عصر كتابا ، ولم يكن أستاذا في جامعة ، ولكن العلم قرى قلبه ، جوهرة .. حين كانت عنده الرؤية الاسلامية الحقيقية .

وبعض التراث ، التقاليد . والتقاليد ليست التقليد ولا هي منه .. وليست الجمود كما يفهمها العامة .. واللعملة هنا هم مقراء الفكر ولكن التقاليد عند الخاصة ، وهم هنا أثرياء الفكر لا المال ... وثبات الاجيال وعطاؤها .. انها منطلق لكل جيل متطور نام .

اننا اليوم نتكلم كثيرا عن السياحة ونعنى بالطبع السياحة الخارجية بشقيها أو بشطريها أى زيارة الغريب لنا وزيارتنا للبلاد الاجنبية .. ولكننا نحتاج الى سياحة أخرى قد لا تدرمالا ولكنها تضيف الينا ثراء لا يقدر بمال اعنى السياحة في تراثنا فانها مولد جديد لنا ...

يقول الدكتور فؤاد زكريا من مقال «الى متى نغترب من حاضرتنا» الاهرام ٢٨/١١/٧٣ (في رأبي أن ماضى الامة لا يمكن أن يكون له تأثير حقيقى في حاضرها الا اذا كان الخط بينهما متصلا . فقيمة أى اتجاه فكرى ينتهى الى الماضى ، من حيث قدرته على تشكيل الحاضر ، انها تظهر أوضح ما تكون حين يصبح ذلك الاتجاه جزءاً

من تاريخ متصل ومن حركة تطور مستمرة تتجاوز نفسها وتصحح أخطاءها خلال مسارها الطويل ، دون أن تتوقف خلال ذلك أو تنقطع ... والتراث الحقيقي في اعتقادي ، هو ذلك الذى يندمج في التاريخ التالى ويصبح جزءا منه بحيث يظل الماضى حيا في الحاضر حتى بعد أن يكون الحاضر قد تخطاه وتجاوز به مراحل (.)

كتب الدكتور حسين مؤنس قصة رمزية سماها (ادارة عموم الزير) ويبدو أن عندنا ادارات عموم الزير ، ووزارات عموم الزير وكأنها أنشئت لتخلق وظائف لموظفين أو تكون مسرحا أو مقرخا . تفرخ فيه القوى العاملة ، الخريجين ، كل عام من باب تغطية البطالة أو البطانة المقنعة ... ولتأخذ مثلا وزارة السياحة لو أن هذه الوزارة تحررت من الروتين وفهمت السياحة على أنها فن وعلم وصناعة لعرفت كيف تستفيد من كنوز هذا البلد أو على الأقل لتعلمت من بلاد لا تملك من فيوض الطبيعة ومسار التاريخ وآثار الاديان الثلاثة ، ما نملك وأصبحت السياحة فيها مورد مورد رزق ومصدر غنى ...



عندما كتبت عن المازنى كتابا ، صورت البيئة المصرية في طفولة المازنى حين كان الشعب يئن من قهر الاجنبى في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ...
و حين اكتب عن العشرين الاولى من النصف الثانى للقرن العشرين أجدنى في الموقف نفسه أى ما كتبه هناك ينطبق هنا ؛
قلت في كتابى « أدب المازنى » .

(ولما كان نظام الحكم فى مصر فردنيا فى كل عصورها قبل أن يضع لها دستورا ، ومثل هذا الوضع لا تستقر فيه الحالة الاقتصادية لانها لاتخضع للتداول الطبيعى وانما تخضع للرغبة التحكيمية المهضة ... فاذا كان الحاكم حازما جنادا ضرب على أيدي العابثين واستقر الامر له .. واذا كان ذا نظر عملى بعيد

يدرك شيئاً من حال البلاد المحكومة من الفاحية الاقتصادية عاد
ذلك بالخير على الحياة . . فالحكومة قوامها شخصية الحاكم
إذا صلح استقامت الحياة وإذا استبد كان وبالا على المحكومين . .
وهذا يفسر شعور المصريين بأن مفاجآت الدهر لا حد لها ، ولا عجب
نهم مهددون ليس عندهم من الضمان ما يجعلهم يمشون في
عملهم ليجنوا الثمره أو يجنيها بنوهم . ومثل هذه الحالة تؤدي
الى شيء من النهم في الحياة الاقتصادية والخلقية . . وتغري
بالكسب بأى وسيلة مشروعة كانت أم غير مشروعة ما دامت المسألة
فلأيا فلا توازن بين الفرص وإنما الغرض هو الوصول من أقصر
الطرق . والنتيجة الحتمية لذلك هى إيجاد فزوق غير مهذبة . .
إيجاد نظام الطبقات . . إيجاد طبقة غالبية وطبقة مغلوقة . والاثـر
الطبيعى لهذا كله أن تنقطع الصلة بين طبقات المجتمع وتتلوث
الحالة النفسية للشعب فلا ثقة نفسية تقرب بعضه الى بعض أو
تشيع فيه التعاطف النفسى فيتدافع الى شيء من تواد أو تراحم
يخفف من حدة غرائز التملك والاقتناء والسيطرة السائدة فيه .

وهذا الوضع المادى أثر للوضع السياسى . . وكلاهما أثر فى
الوضع الادبى . . ومثل هذه الحياة التى نلقى ظلالاً من الشك
فى العدالة ، تلقى فى الروح أن الارض ليست مجالا لحق يسود
لان الثتة فى كل نظام ذاهبة ، وتوهم ان الحياة الدنيا شتقلموحنه
والفرار منها أمنية ، والنقص فيها محتوم . . ولهذا الشك والياس
اثره العقلى والعملى والنفسى والوجدانى .

أما الاثر العقلى فيبدو فى ذلك الطابع الغيبى فى التفكير والذى
يتمثل فى مثل قولهم عقب كل شيء . . . هكذا أراد الله .

أما الاثر العملى فيبدو فى الخفاء والاحتياط الذى كان يسود
الحياة فى مصر ، فالمهارة فى التخفى كانت الطريق الى النجاح فى
الحياة العملية . والرغبة فى التخفى لها انعكاسات فى الاثاـث المصرى

والابنية المصرية الى عهد ليس ببعيد ففى الاراتك والاصونة سراديب متداخلة ، وفى البيوت القديمة لاترى شرفات ظاهرة بل «مشربيات حاجبة» فالحياة المصرية كلها كانت قائمة على التخفى بل ان طاقية الاخفاء التى يتردد ذكرها فى اناصيصنا هى انعكاس لهذه الرغبة فى التخفى .

والقرية المصرية تتجمع بيوتها وتتساند حتى ليسهل الوثب من سطح بيت الى آخر ، بينما القرية الغربية متناثرة ، وتجمع بيوت القرية المصرية حتى لتبدو قطعة واحدة انما هو انعكاس للخوف حتى اذا استنجد أحدهم لى الجميع ...

أما الاثر النفسى فيبدو فى النفوس التى لوئها الشك والياس والحرية ... يبدو فى النفوس التى سلبت الطمأنينة والراحة فقدت بذلك كل شىء وأصبحت حياتها جحيما لا يطاق .

أما الاثر الوجدانى فيبدو فى الادب الذى أسف فكذب حين مدح الظالم وهو ينقم عليه .

هذه الحياة العقلية والنفسية والوجدانية حدث الى اضطهاد الفلاسفة والعلماء لمحض التفكير مع أن الفلسفة الاسلامية قوامها التوفيق بين الدين والعلم ولكن الناس ليس فى نفوسهم ما يوحى الثقة بهذا ... هم لا يؤمنون بأن الحياة تجرى وفق نواويس ثابتة بل كل شىء عندهم قابل للتغيير ، والكون على حد تعبيرهم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء والفن قائم على هذا وفيه منه أصداء فما نراه من شكوى الزمان ومدح الحاكم المذنب فى الادب الكاذب ، والاغنى المهرجة ، وترديد الشعب لمثل هذه الامثلة (تبقى نار تصبح رماد) و (ان حلى زادك كله كله) فالادب العامى الذى هو أدب الشعب وظل نفسه ينم عن حيرة وقلق نفسى ينتهى الى التفويض والتسليم بقضاء الله وماكان الله ليقتضى بهذا . وأغلبننا لا يفهم المعنى الدينى فهما قريبا ... فان قرأت عليهم :

(ليس للانسان الا ما سعى) فهموها الى جانب غيرها من آيات التوكل فتغلب عليها .. والمحافظون من اهل الايمان يميلون الى انكار السببية فالآية الكريمة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) « سورة فاطر » الباء في رأيهم للالصاق لا للسببية ... وهم يفسرون كل شيء يجري تحت عيونهم بوحى هذه الغيبية التى يعتنقونها ...

حتى شكوى الزمان كانت صورة لفهمهم الخاطىء للحياة فهم يتوهمون أنه لا يدوم سرور أو حزن ... ولهذا ظل وأثر عالق فينا الى اليوم...يضحك المسرور منا ثم يقول: اللهم اجعله خيرا كأنه يتوقع الشر ما دام سر حينا ، وكأن الشر في أعقاب الخير المآذا ؟ ومن سوء فهمهم حملهم معنى (أن شاء الله) على التواكل ... ان هذه المشيئة ان هى الا تأكيد للعزم فأتنا سوف أفعل كذا ثم هناك صمام أمن لما يطرأ مما لاقدرة لنا عليه ... ولكن قائلنا يقولها حين ينوى ألا يفعل متبرها ... وفى مشيئة الله عن الكذب منتدح ...

حين دهمنا الاستعمار أوهمنا مصريين وشرقيين اننا لاشيء ولا نستحق شيئا فتعددت ظواهر الاتهام فينا ... فان رأوا ناجحا لا يعدون نجاحه عملا أو ذا أسباب معقولة بل هو عندهم طفرة ووثبة وأعجوبة وأثر محاباة ومحسوبية أو حظ ، ونسينا ان الحظ توفيق من الله ... واذا رأوا فاشلا لا يردون فشله الى سبب ...

والى هذا الطابع يرجع أكثر عيوبنا فى الحياة والتصرف ... فنحن لا نثق فى الديمقراطية لان الديمقراطية أساسها ثقة الفرد بنفسه وبكيانه وبحقه ، وقد عجزنا أو عجز الكثيرون منا عن فهم هذه المعانى . فطلعوا الى الآخرة تهريا من الدنيا ... ولما كان الزهد أقرب طريق الى الاستعلاء فقد تعددت أسبابه وكثرت مظاهرها من مخرقة وحرمان وعجز . وكان لهذه الغيبية أصداء فظهرت

مذاهب وفرق وطرق للصوفية وأشائير ... وزاد الاقبال على
الاضرحة وتسرب الخطأ فى المفاهيم الى مفهومنا للولاية والاولياء ..
مع أن الولى قيمة معنوية تجسد كل ما فى عالم الانسان الاعلى
من نبل وسمو وتضحية وفداء ...

لقد وصفت بهذه السطور ، الفترة من أواخر القرن التاسع
عشر وأوائل القرن العشرين فهل اختلف واقع الحال عن هذا ؟
قاس أن يضيع من عمر أمة سنين .

والآن :

لا وقت للتحسر

اعيدوا تشكيل الحاضر

واختصارا للوقت والجهد

انفتحوا على العالم المتحضر

خذوا خير ما عند الناس بدون عقد

بلا استخذاء فقد أعطينا الغرب ، يوما .

وبلا استعلاء فنحن بشر قد نخطئ حين يصيب غيرنا .

نتفحص أنفسنا

ونواجه الحقيقة

نعيد كتابة التاريخ

من جديد ..

هذا الكتاب كتبته بعد أن عشتة .. بعضه كان الما وبعضه كان
املا ، وبعض كان معنى يلوح في خاطر ثم يعز على التحقيق .

ولكنى بالوراثة والدراسة لم أئس فتاريخنا ملئ بالحن
المتى ارتفعنا عليها ، والأشواق التي تحدينها ، والدموع التي
جففناها ثم تصالحنا مع الفرح ، وسامحنا الجرح وصافحنا النعمة
كما تصفو السماء غب المطر .

الدين .. والفن .. والحضارة .. والعصرية .. والتراث ،
والمدرسة واسلوب التعليم .. كلها موضوعات عشتها وشربتها من
الدراسة والتأمل والتفكير . وعرفت من الحياة والكتاب والبيت
والجامعة واقعنا فيها بتجاربه وأخطائه ومسئوليته ورؤاه .

وانصهر في نفسى هذا كله فغمست قللى فيه بالصدق كله ،
وبمصريتى كلها أسجل الأسباب والعلل وأرسم المثل والأمل وأتمثل
اليوم والغد لنا ولأبنائنا .. أما الماضى فقد حمل جيلنا أوزاره وآثاره
لأنه لم يقو على التيار فجرفه التيار .

لقد سميت الكتاب (أعيدوا كتابة التاريخ) وقلبت الصفحات
كلها ، وعرضت نماذج من الأخطاء الكبيرة التي يفتح ثمنها
الشعوب .. وقد يتورط في هذا الثمن الفادح أكثر من جيل . يغرمون
ليغفم الآخرون في الخارج أو الداخل .

وصبر الشعوب طويل ولكن حسابها عندما يحين ، عسير . ولم يعرف الصبر بعد الزمن الطويل ، شعبا كاظما عافيا وان يكن غير معاف ، كشمعنا ... ولكن الحليم اذا غضب ، يتغير التاريخ في محاولة جديدة للكتابة ترشد عليها الأحكام وأصحابها ، ويستقيم ميزان العدل استجابة لأمنية قديمة نادى بها في مصر ، يوما ، الفلاح الفصيح ...

ولكن يبقى بعد هذا أكثر من خط وضعت تحته خطأ في هذا الكتاب للتمييز والتفكير : **ولكن المعالجة الكاملة سافرد لها كتابا قائما بذاته أتحدث فيه عن :**

(**الانفتاح الذى لم يذكره أحد**) أين ومتى ولماذا ؟ والذى لم ننتفح عليه ولم نذكره ، كبير خطير لو انتبهنا اليه وأخذنا به **سيتغير التاريخ على هذه الأرض ، بل ، ربما ، فى العالم .**

ما زالت هناك فى تاريخنا القريب والبعيد علامات استفهام حائرة لو قدر لها **الاسراء والانراء لفدت علامات طريق ...**

حين أختتم هذا الكتاب ، أعاهد الله والنيل أن **أبدأ كتابا يليه على طريق الشخصية المصرية وما يمكن أن تحققه لو انفسح الطريق وانفتح الأمل والعمل** . أمام قدراتها وحياتها ووسائلها .

انه موضوعى الكبير وهى الشاغل الى أعطيه أيامى حتى يعود الانسان المصرى عزيزا كما بدأ .. فبدأ به التاريخ ؟

دكتورة نعمات أحمد فؤاد

دار الشروق

مطابع منكور وأولاده

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٧٦/٧٩٧٤

هذا الكتاب

دعوة كبيرة رائدة الى اعادة كتابة التاريخ في عملية
تنقية ، وتعربية ، وتصحيح من الزيغ والتضليل
والتحريف . وبهذا أضاف الكتاب الى المكتبة العربية ،
القضايا التي غابت عنها من تهيب الكاتبين أو تخرجهم ،
أو ضبابية الرؤية ، أو خوف المصير .

يقدم هذا الكتاب برؤية جديدة وأسلوب جديد معمق
ومكتنز ، على الفوص في تاريخ مصر : ماذا فيه من
أخطاء وخطايا ، ومن هم الجناة الذين أرادوا أمة
التاريخ بلا تاريخ .. ؟ .. كيف يصنع الديكتاتور ؟
في عملية تشريح للماضي والحاضر ، صادقة وأمانة
وموضوعية ...

ناقش الكتاب : المفاهيم الثابتة في التاريخ بإبعادها
التاريخية محددا نصيبها من الصدق أو الوهم .
تناول الكتاب في روح علمية إنسانية مفهوم مصر
للدين والفن ..

كما واجه الكتاب في دراسة نزيهة :

الانقباط والمسلمين
التحرر من الخوف وإبداع الحضارة
الدولة المصرية

كيف نعيش .. ماذا تعلم مدارسنا ؟

هذه بعض القضايا التي أثارها الكتاب في انطلاقة
رائدة وجراة متحررة من الخوف والعقد والتقليدية ،
والنفاق

طبع الغلاف بمطابع الاهرام التجارية

